سلسلة كتاب العميد

(١٤)

الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف وفلسفة الانتظار .-الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٤ هـ. = ٢٠٢٢.
٩٦ صفحة ؛ ٢٤ سم. (سلسلة كتاب العميد ؛ ١٤)
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية
1. المهدي المنتظر (شيعة). أ. العنوان.

LCC : BP166.93. I43 2022
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
فهرسة اثناء النشر

ISBN: 978-9922-680-31-6

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٧٠٨) لسنة ٢٠٢٢

العنوان: الإمام المهدي عليه السلام وفلسفة الانتظار

سلسلة كتاب العميد (١٤)

النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات – قسم النشر

الإشراف العام : أ.د. شوقي مصطفى الموسوي

المتابعة والتنفيذ: رضوان عبد الهادي السلامي – م.م.ضياء محمد حسن

الادارة الفنية: م.م علي رزاق خضير

الإخراج الطباعي: احمد نعمة

تصميم الغلاف: علي طالب

عدد النّسخ: ٢٥٠

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ – ٢٠٢٢م

حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

رقم صندوق البريد (ص.ب): ٢٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم
﴿ وَلْيَعْفُوا
وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ
لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
صدق الله العلي العظيم
سورة النور، الآية: ٢٢.

كلمة المركز ٩

الدلالة القرآنية لـ (انتظروا ومنتظرون) في ضوء منهج المدونة المغلقة..... ١١
ملخص البحث ١٢
التمهيد..... ١٤
منهج البحث القرآني ١٤
عملية التفسير عملية لغوية دلالية..... ١٦
المبحث الأول..... ١٩
التأصيل اللغوي لدلالة النظر..... ١٩
المبحث الثاني.....٢٨
الانتظار سنة في السابقين واللاحقين.....٢٨
المبحث الثالث.....٣٦
الانتظار عند الطرفين كلٌّ على شاكلته.....٣٦
الانتظار والفتح.....٤٠
نتائج البحث.....٤٢
الهوامش ٤٤
المصادر والمراجع..... ٤٧
الحجة بن الحسن عجل الله فرجه الشريف وفلسفة الانتظار زمن الحيرة انموذجا.....٤٩
ملخص البحث ٥٠
المقدمة.....٥٢

المبحث الاول.....٥٣
أسباب وقوع الحيرة في الغيبة الصغرى ٥٣
المبحث الثاني.....٥٦
أحداث الحيرة.....٥٦
الخاتمة.....٦٤
الهوامش.....٦٥
المصادر والمراجع.....٦٨
مستقبل الأديان السماوية في عصر الظهور دراسة قرآنية.....٧٠
ملخص البحث.....٧٢
المقدمة.....٧٤
المطلب الأول.....٧٥
ظهور الاسلام على الاديان.....٧٥
الغلبة بتسلط المسلمين على جميع اهل الاديان والملل.....٨٠
المطلب الثاني ٨٤
مستقبل الاديان السماوية في عصر اظهار الدين.....٨٤
الخاتمة.....٩٠
الهوامش.....٩١
المصادر والمراجع.....٩٤

كلمة المركز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، أحمده حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أنْ لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنّ سيدنا ونبينا محمدا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وحبيبه، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى حجّة الله في أرضه وسمائه الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف

أمّا بعد:

اعتمد قسم النشر في مركز العميد الدولي الكثيرٌ من المواضيع الفكرية و العلمية التي تستحق التوقف أمامها تفكراً وتأملاً، وهذا أمرٌ ليس بغريب على مجتمع بحوث مجلة العميد العلمية المحكمة وقرّائها الكرام..؛ بوصف ان مجلة العميد ومنذُ صدورها مثّلت منبراً علمياً وصرحاً بحثياً استهوى عدداً من الباحثين والدارسين الذين تتوق أفكارهم بين الفينة والأخرى للإطلاع على ما تكتنزه من قيمة علمية ومعرفية في التخصصات الإنسانية عامة.

فقد أُفرد لهذا الاصدار ضمن سلسلة كتاب العميد ، بحوث حول شخصية الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه الشريف اكتنز مجموعة من الأبحاث العلمية حول شخصية الإمام المهدي المعصوم عجل الله فرجه الشريف ودواعي غيبته العظيمة، وفلسفة انتظاره من شيعته ومحبيه.

وينتهزقسم النشر من خلال سلسلته المباركة، الفرصة لتدعو الزملاء الأفاضل، والباحثين الكرام في التخصصات الإنسانية المختلفة لارسال

بحوثهم، ونتاجاتهم العلميةلنشرها في كتاب وايضاً لنشرها في مجلة العميد على وعدٍ بأن تكونا عوناً لكل باحث جادٍ مجتهدٍ يرغب في نشر نتاج فكره وحصاد جهده. ومن الله التوفيق ..

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات
قسم النشر

الدلالة القرآنية لـ (انتظروا ومنتظرون) في ضوء منهج المدونة المغلقة

أ.د. حسن عبد الغني الاسدي

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الانسانية

قسم اللغة العربية

ملخص البحث

الانتظار سنة قرآنية، وحقيقة من حقائقه التي تقترن بحادث مهم يمثّل مستقبل الاسلام الحتميّ، وهو الفتح الذي إذا جاء يومه ترى الناس يتوجهون أفواجا أفواجا للدخول في الاسلام وتحقيق ظهوره على كل دين، فالناس هي المختارة في ذلك، كما كان الفرقاء قد اختاروا البقاء على شاكلة أعمالهم السابقة، فالانتظار موقف عقائدي ،يمثله الطرف الأول وإرادة الله تعالى مع رسول الله صلى الله عليه وآله. وأنه ترقب لسنة حدثت في الأمم التي خلت من قبل.

ABSTRACT

Waiting is but a Quran condition and a fact that runs in line with a salient incident representing the future of the inevitable Islam. It is the conquer as people take belief in Islam in battalions and surpasses all religions; people choose to hold such a belief, yet the rivals kept deviating as they did. The waiting is a doctrinal stance on the one hand and it is the will of Him with the messenger on the other; it is the act of waiting for years happened in nations never found before.

التمهيد

منهج البحث القرآني

إنّنا في سبيل الوصول إلى نتائج يعتدّ بها، وتكون ثمرة لمنهج يُحيي صفة القرآن الكريم ومن أبرز صفاته وهي الصفة الدالة على التعاضد أو التظافر الدلالي الدالة عليها مقولة الآية القرآنية في التدبر ومقولة: «بعضه يشهد على بعض» نعتمد آلية منهجيّة نقترحها ههنا وهي (المدوّنة المغلقة) لفهم القرآن الكريم عبر ضبط منهجي بخطوات ومحددات إجرائية تجعل من يسير عليها مفسرا للقرآن بالقرآن حقّاً، وبنتائج مترتبة على هذه الخطوات، وهي مسألة أرى أنها تطرح لأول مرة ولم أعثر بحسب تتبعي على عمل سبقني صاحبه إلى مثل هذا تنظيراً أو إجراءً؛ لذا فقد سعيت منذ عدّة سنوات لتقرير هذا الخطوات وتنفيذها عبر طائفة من البحوث.

المدونة المغلقة

مصطلح نطلقه على المنهج الإجرائيّ لفهم النّصوص المكتوبة. ولا سيما تلك التي تمتلك استقلالا تدوينيّا واضحا، بأن يُعطَى المدوّنُ أنْ يتحدث عن نفسه، ويحدد كيفيّة هذا الإعطاء. وهي مرتكز هذه المنهجيّة وترفض الأفكار المسبقة التي تنحو إلى فهم محدد للمدوّن باتِّجاهٍ يتوافق مع ما كان سلفاً، أو نحو ذلك. وهذا الغلق الذي يُتَّخذ ههنا للنظر إلى النصوص المكتوبة يمكن أن نشبهه بتعامل عالم الآثار مع القطع الأثرية من بعض الحضارات القديمة.

فالقرآن الكريم مؤسس لحياة المجتمعات، وهو الرائد التي ينبغي لنا أنْ نسير بظله، وأن يسبقنا بالقول، ونكون له تابعين ولمعارفه مسلِّمين؛ لذا كان علينا أن نحترز من أن نقحم عليه أفكارنا وتصوّراتنا التي أسسنا لها، أو أُسست لنا بفعل تراكمات وتوجهات مختلفة، على مدى عصور متمادّة وإنجازات بشريّة اكتسبت طابعا مقدّسا حاكما، تحول دون فهمه الدقيق من ويندرج في هذا السياق ما سميّ بعرض الأحاديث على القرآن وقد رويت

في كتب المسلمين وهي أحاديث واضحة في الدلالة على أننا يجب أن نمتلك فهم القرآن لنفهم ما يصدر من رسولنا الكريم وأهل بيته الطاهرين وكذا غيرهم من الأولياء والعلماء، ونعتبره حقا فيما لو وافق الدلالة القرآنية ونتركه إذا لم يوافق أو لا دليل عليه من القرآن... فمنهج المدونة يوجب أن تكون قراءة المدوّنة نابعة من المدونة نفسها، لا من خارجها، وإن كان هذا الخارج حديثاً نبويّاً أو حديثاً لأهل البيت عليهم السلام أو لأحد من السلف الصالحين من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله.

إنّنا بصدد منهجية للقراءة والتحليل تخصّ نصّاً، أبدعه الكامل المطلق في كماله الذي لا يحتاج إلى غيره المستغني بذاته عن مخلوقاته. ومن المعلوم أنّنا يجب أن ندرك كيفيّة إعجاز القرآن من تدبّر القرآن، وليس من إخبار الرسول صلى الله عليه وآله إيانا بذلك.

فالهدف الأوّل أنْ يعرف ماذا أراد الله بقرآنه عبر قرآنه نفسه، فتكون نتائج المنهج ممثلة لقراءة داخلية للنصّ تعتمد هيكليته وتدوينه اللفظي بكلماته وآياته وسوره؛ وهوية تلك الكلمات وسماتها التي تكسبها موقعها في الآية. ويعزز هذا حرصنا على إبراز المنحى الذي استثمره القرآن من العربية ليكون له شبكة من الألفاظ لها دلالاتها الخاصة.

كما أنّ القرآن الكريم لم يكن منجزاً تابعاً للحظة التي أُنزل فيها أو للحضارة التي كتب بلغتها، فيكون أثرا لتلك الحقبة؛ وننزع إلى تبنّي بعض ما أحاط بنزول آياته، وولادة مجتمعه بل هو إبداع إلهيّ محضّ لكلّ الأزمان والحضارات، وكانت إرادة الله تعالى ألاّ يرتبط القرآن بلحظات نزوله بل يتجاوز ذلك ليعيش القرآن في كل مستقبله الآتي إلى أن يأذن الله تعالى بزوال الدنيا.

عملية التفسير عملية لغوية دلالية

نرى أنّ المشكلة الكبرى التي تواجه المفسّر في إطار مهمة البحث لوضع التصوّر المنهجي لتفسير القرآن الكريم تكمن في عملية التفسير بوصفها عملية لغوية واضحة لسعيها نحو المعنى المراد من الآية، ومن مجموعة الآيات أو السورة؛ إذ القصد منها هو الوصول إلى الدلالات الشرعية أو (القرآنيّة) التي أراد الله تعالى إبلاغها عباده عبر إنزاله كلاما لغويا هو القرآن الكريم على مستوياته المفردة والمركبة. وعلى ذلك فالتفسير علم يدرس الكلام (كلام الله في القرآن) للكشف عن دلالته؛ وهنا تكمن أهمية أن نصف التفسير بل أن ندرج التفسير بوصفه علما لغويا وأكثر تحديدا هو علم الدلالة القرآنية بمستويات الدلالة المتعددة كما تقدّم. إن الصيغة اللغوية التي اتصف بها القرآن الكريم أدّت في ظل تصورات طبيعية أو مفتعلة الى أن يخضع التفسير إلى علم آخر أوسع مساحة وأكثر ألفاظا وهو علم العربية وههنا كمنت بتقديرنا المشكلة الكبرى؛ لأنّ التفسير خضع بهذا لعلم آخر هو علم العربية وقواعده، وهو علم مَثله مَثل كثير من العلوم نشأ في ظلّ تصوّرات بشرية، مادة وتحليلاً، وفيه مساحة واسعة لتعدّد وجهات النظر في فهم ظواهر كلام العرب؛ وكما ذهب كبار علمائه أنّه لا ضير من اختلافها، بل تعارضها كما يظهر في بعض مسارات التحليل النحوي.

خطوات التفسير في ضوء منهج المدوّنة المغلقة

لعل من أبرز الخصائص التّي يفترضها منهج المدونة المغلقة في تفسير القرآن الكريم:

١. واحديّة الدلالة القرآنيّة لا تعددها: أي للفظة عينها أينما اُستعملت في القرآن الكريم، ونعني بها أنّ اللفظة القرآنية أو ما يسلك مسلكها من بعض التراكيب تحمل دلالة واحدة وبذا فنحن ننفي التشارك الدلاليّ بين لفظة وأخرى. (نفي الترادف، ونفي المشترك اللفظي ونفي التضاد).

٢. الوقوف على المعنى اللغوي الأولي ووصفه بأنه المعنى الأولي في قبالة التعدد في المعاني اللغوية التي يسردها المعجميون، ولعل ما قدّمه ابن فارس في معجمه المقاييس سيكون

نافعا في هذه الجهة .

٣.السياق اللفظيّ سياق المدوّنة: إنّ واحديّة الدلالة التّي أفادتنا بها الآية التي صُدِّر بها البحث؛ تنحو بنا إلى خاصيّة منهجيّة أخرى للقرآن الكريم تكمن في أنّ دلالة ألفاظه تتأتّى في ظلّ النظر إلى سياقها (سياقاتها) اللفظيّ. وههنا مسألة مهمة فما دام النظر يتمّ إلى المدوّن فالسياق الوحيد المعتمد في هذا المنهج هو السياق اللفظي (اللغويّ)؛ لأنّه السّياق الذيّ تكوّنه المدوّنة، وهو هيأتها اللفظيّة وسلسلة تتابع مكوناتها، وتعالقها بعضها ببعض. ويتجلّى السياق ههنا عبر كل الموارد التي استعملت فيها اللفظة في القرآن الكريم. وأضيف إلى ذلك أن السياق القرآنيّ سياق متّسع يشمل ما نصطلح عليه بـ (سياق المدوّنة)، فيشمل كل موارد استعمال اللفظة أو التركيب، بل يفيد من سياقات الألفاظ التي تظهر مع تلك اللفظة أي مصاحباتها، على نحو يشبه المسارات الشبكيّة التي تنسجم ،وما يتيحه الاستعمال القرآني لإظهار تلك الشبكة الدلاليّة. ولاسيما أنّنا في ظلّ بعض من التّصوّرات النّحويّة لكيفيّة تكوين الجمل وامتدادها في العربيّة وجدنا أنّ هناك لفظة مركزيّة في الآية تسلك مسلك المولِّد لهذا السياق ببعديه التكويني، والدلالي لا العكس الذي تعارف عليه السّياقيّون (أي: دلالة اللفظة وليدة سياقها).

٤ .تتجلى مركزيّة اللفظة نحويّا بقدرتها على استدعاء ما يناسبها لبناء جملتها عبر تكوين المجالات النّحويّة لتشغلها الألفاظ المناسبة للتّعبير عن الوظائف النحويّة المختلفة على نحو يجعل المسند متحكِّما بالألفاظ التي تظهر في إثره[١].

فاللفظة القرآنيّة تمثّل بؤرة دلاليّة تتجمَّع حولها طائفة من الألفاظ التي تنسجم معها دلاليّاً. ويعني ذلك أنّ في الآيات ألفاظاً تسلك في مواضعها مسلكاً تكون به لفظة رئيسة، لها القدرة على استدعاء الألفاظ الأخرى ممّا تتسق معها دلاليًّا ،وبهذا فهي تكوّن تركيبه وتستدعي ألفاظه المناسبة. وهو ما يقود إلى عكس النظرية السياقية في فهم دلالة اللفظة فاللفظة هي التي تحدد بقية الألفاظ التي تتشارك معها في ضوء انسجامها دلاليا معها، على

حين أن النظرة السياقية ترى أن اللفظة ليس لها معنى إلا عبر الألفاظ التي تظهر في سياقها.

٥.اللفظة القرآنية فهو اصطلاح نطلقه على اللفظة المستعملة، سواء أدخلتها لواحق أو سوابق أم لم تدخلها، وهي تقترن بالهيأة الصيغة الصرفية التي استعملها القرآن. ولا تحمل دلالتها على ما اشترك معها اشتقاقيا من بقية الألفاظ فلكل صيغة لها خصوصيتها الدلالية في القرآن الكريم. إلا أن تدلّ النتائج على تشارك في هذه الدلالة على نحو ما من التشارك أو التعاضد. وفي بعض المسارات آثرنا استعمال اصطلاحات جديدة من نحو (المفرد اللفظي والمفرد الصرفي وكذا في الجمع).

٦.اهتمام المنهج بذكر الاقترانات اللفظية التي تصاحب اللفظة القرآنية، وهي التي تمثّل (السياق اللفظي أو اللغوي) الذي تعمل اللفظة على استدعائه، وذلك لما لتلك الاقترانات اللفظية (المصاحبات) من أثر في تحديد دلالة اللفظة .الاقترانات اللفظية متعددة فقد تكون ألفاظا أو تركيبا معينا أو بنية صرفيّة أو أداة رابطة.

٧.يرفض هذا المنهج التعويل أو الإفادة من روايات أسباب النزول، لأنها من خارج المدونة لا من داخلها.

٨.إن تقسيم الآيات القرآنية على مكية ومدنية غير معتدٍّ في منهج المدونة لأنه تقسيم خارجيّ مقترن بسبب النزول. وفائدة هذا التقسيم قد تظهر في أثناء تطبيق غلق المدونة فيما يمكن أن تزوّدنا الآيات نفسها من مظاهر بيئاتها.

المبحث الأول

التأصيل اللغوي لدلالة النظر

جاء في العين في مادة نظر قوله: «نظر إليه ينظر نظرا، ويجوز التخفيف في المصدر تحمله على لفظ العامة في المصادر (يعني اسكان الوسط أي نظْر)، وتقول: نظرت إلى كذاو كذا من نظر العين ونظر القلب»[٢].

وذكر ما خرج عن هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾، أي لا يرحمهم. وقال: «وقد تقول العرب: نظرت لك، أي عطفت عليك بما عندي ،وقال الله عز وجل: ﴿لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾، ولم يقل: لا ينظر لهم فيكون بمعنى التعطف ...

ومنظرة الرجل: مرآته إذا نظرت إليه أعجبك أوساءك»[٣].

فالمعنى على النظر باقية الا أنها تلبس بدلالة تداولية بالنظر الى موضع استعمالها؛ فعدم النظر الى شيء هو قلة عناية بشأنه «وان فلانا لفي منظر، ومسمع أي فيما أحب النظر إليه والاستماع، قال: لقد كنت عن هذا المقام بمنظر. أي بمعزل فيما أحببت ...

والمنظر: الشيء الذي يعجب الناظر إذا نظر إليه فسره»[٤].

ثم عرج الى النظر المقترن بمعنى الريب و بالشدة، وان فلانا لشديد الناظر إذا كان بريئا من التهمة، ودخل على معنى ان يصاب بنظرة من الجن ونظار كقولك انتظر، اسم وضع في موضع الامر. وناظر العين: النقطة السوداء الخالصة في جوف سواد العين[٥].

وقال الخليل: «ونظير الشيء مثله... وفي التأنيث نظيرة، وجمعه نظائر... ويقول القائل للمؤمل يرجوه: انما انظر إلى الله ثم اليك، أي أتوقع فضل الله ثم فضلك»[٦].

وذلك بما يرافق تلك النظرة من توقع رحمة أو منفعة عاجلة، يعلم أولها بالنظر.

ومن استعمال المادة (نظر) بمعنى الانتظار أي المهلة، قال الخليل: «ونظرت فلانا وانتظرته بمعنى، فإذا قلت: انتظرت فلم يجاوزك فعله فمعناه وقفت وتمهلت ونحو ذلك. وتقول: انظرني يا فلان، أي استمع الي، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا انْظُرْنا﴾. ويقول

المتكلم لمن يعجله: انظرني ابتلع ريقي. وبعث فلان شيئا فأنظرته ،أي أنشأته، والاسم منه النظرة. واشتريته بنظرة اي بانتظار، وقوله عزوجل ﴿فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ﴾، أي إنظار. واستنظر المشتري فلانا: سأله النظرة. والتنظر: توقع من ينتظره. وبفلان نظرة، أي سوء هيئة. والمناظرة: أن تناظر أخاك في أمر إذا نظرتما فيه معا كيف تأتيانه؟»[٧].

ولم يعرج الخليل على مفارقة هذه المعاني لمعان أخرى تدل عليها مواد لغوية قريبة من حقل نظر الدلاليّ، فلم يتوقف عند رأى ولا عاين أو شاهد وبصر ونحوها، ولم يبين ميزة النظر ودلالته الخاصة المميزة .

ويبدو أن ابن فارس في ظل نظرته المعجمية التي اختلفت عن نظرة الخليل قد قدّم لنا شيئا ممّا تماز به هذه المادة عن غيرها، فقال: «نظر: النون والظاء والراء أصلٌ صحيح يرجع فروعُه إلى معنىً واحد وهو تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه، ثم يُستعار ويُتَّسَع فيه. فيقال: نظرت إلى الشّيءِ أنظُر إليه، إذا عاينْتَه. وحَيٌّ حِلاَلٌ نَظَرٌ: متجاورون ينظرُ بعضُهم إلى بعض. ويقولون: نَظَرتُه، أي انتظرته. وهو ذلك القياس، كأنَّه ينظر إلى الوقت الذي يأتي فيه. قال:

فإنّكُما إن تَنْظُرَانيَ ليلـــــــــــةً من الدَّهر ينفَعْني لدى أمِّ جُندَبِ»[٨]

فيتضح أن المميز الدلالي في هذه الرؤية كونها (تأمُّلُ الشّيءِ ومعاينتُه) مما يستلزم النظر المادي أي ابصار الشيء بهادته أو هيأته، مع الاحاطة به وعدم التعجّل إذ التأمّل لا يقوم في نظرة عجلى أو خاطفة. ولهذا يبدو أن المادة قد استقرت على استعمال حاسة العين، وهي النظر، قال ابن منظور: «النَّظَر حِسُّ العين نَظَره يَنْظُره نَظَراً ومَنْظَراً ومَنْظَرة ونَظَر إِليه والمَنْظَر مصدر نَظَر... الجوهري النَّظَر تأَمُّل الشيء بالعين... وفي حديث عِمران بن حُصَين قال: قال رسول الله ﷺ: ((النَّظَر إِلى وجه عليّ عِبادة))، قال ابن الأَثير: قيل معناه أَن عليًّا عليه السلام كان إِذا بَرَزَ قال الناس: لا إِله إِلا الله ما أَشرفَ هذا الفتى لا إِله إِلا الله ما أَعلمَ هذا الفتى لا إِله إِلا الله ما أَكرم هذا الفتى أَي ما أَتْقَى لا إِله إِلا الله ما أَشْجَع هذا الفتى، فكانت رؤيته عليه السلام تحملُهم على كلمة التوحيد. والنَّظَّارة القوم ينظُرون إِلى الشيء، وقوله

عز وجل ﴿وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ والعرب تقول داري تنظُر إلى دار فلان ودُورُنا تُناظِرُ أَي تُقابِل»[٩]. وقال: «وقال الفرّاء تقول العرب أَنْظِرْني أَي انْتَظِرْني قليلاً، وقوله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يومئذ ناضِرَةٌ إِلى رَبِّها ناظِرَةٌ﴾، قال أبو منصور: ومن قال إِن معنى قوله إِلى ربها ناظرة يعني منتظرة فقد أَخطأَ لأَن العرب لا تقول نَظَرْتُ إِلى الشيء بمعنى انتظرته إِنما تقول نَظَرْتُ فلاناً أَي انتظرته... وإِذا قلت نَظَرْتُ إِليه لم يكن إِلا بالعين وإِذا قلت نظرت في الأَمر احتمل أَن يكون تَفَكُّراً فيه وتدبراً بالقلب»[١٠].

«والمُناظَرَةُ: أَن تُناظِرَ أَخاك في أَمر... والمَنْظَرُ: الشيء الذي يعجب الناظر إِذا نظر إِليه ويُسُره»[١١]. وقال ابن منظور: «والنَّظَرُ: الفكر في الشيء تُقَدِّره وتقيسه منك، والنَّظْرَةُ اللَّمْحَة بالعَجَلَة، ومنه الحديث أَن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: لا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فإِن لك الأُولى وليست لك الآخرةُ، والنَّظْرَةُ الهيئةُ».

وقالوا: «انْظُرْني اي اصْغ إِليَّ ومنه قوله عز وجل ﴿وَقُولُوا انْظُرْنا وَاسْمَعُوا﴾ والنَّظْرَةُ الرحمةُ وقوله تعالى ﴿وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ﴾ أَي لا يَرْحَمُهُمْ، وفي الحديث: ((إِن الله لا يَنْظُر إِلى صُوَرِكم وأَموالكم ولكن إِلى قلوبكم وأَعمالكم))».

والنظر يقع على الأَجسام والمعاني فما كان بالأَبصار فهو للأَجسام وما كان بالبصائر كان للمعاني»[١٢].

«ونَظَرَ الرجلَ ينظره وانْتَظَرَه وتَنَظَّرَه تَأَنى... والتَّنَظُّرُ تَوَقَّع الشيء... ويقال بِعْتُ فلاناً فأَنْظَرْتُه أَي أَمهلتُه والاسم منه النَّظِرَةُ...»[١٣]. «وأَنْظَرَه أَخَّرَهُ وفي التنزيل العزيز ﴿قالَ أَنْظِرْني إِلى يَوْم يُبْعَثُونَ﴾، والتَّناظُرُ التَّراوُضُ في الأَمر، ونَظِيرُك الذي يُراوِضُك وتُناظِرُهُ وناظَرَه من المُناظَرَة والنَّظِيرُ المثل»[١٤]. «والنَّظائرُ جمع نَظِيرة وهي المثل والشِّبْهُ في الأَشكال الأَخلاق والأَفعال والأَقوال ويقال لا تُناظِرْ بكتاب الله ولا بكلام رسول الله وفي رواية ولا بسِنَّةِ رسول الله قال أَبو عبيد أَراد لا تجعل شيئاً نظيراً لكتاب ولا لكلام رسول الله فتدعهما وتأْخذ به»[١٥].

وذكر الأصبهاني في تناوله هذه المادة أنّ هناك عدة معانٍ ترد فيها هذه المادة في القرآن الكريم فقال: «النظر: تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص، وهو الروية»[١٦]. واستعمال النظر في البصر أكثر عند العامة، وفي البصيرة أكثر عند الخاصة، ونظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته، قال: ﴿أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية ٧١]، نظرت في كذا: تأملته. قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ * فَقالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات ٨٨- ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ [الأعراف ١٨٥] فذلك حيث على تأمل حكمته في خلقها»[١٧].

وقال: «والنظر: الانتظار، يقال: نظرته وانتظرته وأنظرته، أي: أخرته، قال تعالى: ﴿وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [هود ١٢٢]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ [يونس ١٠٢]، وقال: ﴿انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ [الحديد ،٣١] ﴿وَما كانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ﴾ [الحجر ،٨] ﴿قالَ أَنْظِرْنِي إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ [الأعراف ١٥-١٦]، وقال: ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعاً ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ﴾ [هود ٥٥]، وقال: ﴿لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة ٢٩]، وقال: ﴿فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان ٢٩]، فنفى الإنظار عنهم إشارة إلى ما نبه عليه بقوله: ﴿فَإِذا جاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف ٣٤]، وقال: ﴿إِلى طَعامٍ غَيْرَ ناظِرِينَ إِناهُ﴾ [الأحزاب ٥٣] أي: منتظرين، وقال: ﴿فَناظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل ،٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَالْمَلائِكَةُ﴾ [البقرة ٢١٠]، وقال: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف ٦٦] وقال: ﴿ما يَنْظُرُ هؤُلاءِ إِلاَّ صَيْحَةً واحِدَةً﴾ [ص ،١٥] وأما قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف ١٤٣]، فشرحه وبحث حقائقه يختص بغير هذا الكتاب»[١٨].

«ويستعمل النظر في التحير في الأمـور، نحو قوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة ٥٥]، وقال: ﴿وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف ١٩٨]، وقال:﴿وَتَراهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْها خاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى ،٥٤] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كانُوا لا يُبْصِرُونَ﴾ [يونس ٤٣]، فكل ذلك نظر عن تحير دال على قلة الغناء .

وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [البقرة ٥٠]، قيل: مشاهدون، وقيل: تعتبرون»[١٩].

«والمناظرة: المباحثة والمباراة في النظر، واستحضار كل ما يراه ببصيرته، والنظر: البحث، وهو أعم من القياس؛ لأن كل قياس نظر، وليس كل نظر قياسا»[٢٠]. وذكر الفيروز آبادي في بصائر ذوي التمييز: «بصيرة فى نظر، النَّظَرُ: تأَمُّل الشيءِ بالعَيْن، وكذلك النَّظَرانُ بالتّحريك، وقد نَظَرْتُ إِلى الشيءِ. والنظر أَيضاً: تقليب البَصِيرة لإدراك الشيءِ ورؤيته، وقد يُراد به التأَمّل والفَحْص، وقد يُراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْص، وقد يُراد به المعرفةُ الحاصلةُ بعد الفَحْص. وقوله تعالى: ﴿انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ أَي تأَمّلوا. واستعمالُ النَّظَر في البَصر أَكثر استعمالاً عند العامّة، وفى البَصِيرة أَكثر عند الخاصّة، ويقال: نَظَرْتُ إِلى كذا: إِذا مَدَدْت طَرْفَك إِلَيْه رَأَيْتَه أَو لم تَرَه، ونظرتُ إِليه: إِذا رأَيتَه وتَدَبَّرته، قال تعالى: ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾. ونَظَرْت في كذا: تأَمَّلته، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ يراد به الحثّ على تأَمُّل حكمته في خَلْقها».

ونَظَرُ الله إِلى عباده هو إِحسانُه إِليهم، وإِفاضةُ نعَمِه عليهم. قال تعالى: ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. وفى الصّحيحين: «ثلاثةٌ لا يكلِّمُهُم الله ولا يَنْظُر إِليهم: شَيْخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كذَّاب، وعَائلٌ مُسْتَكبِرٌ»[٢١]. وقال: «والنَّظَرُ أَيضاً: الانْتظارُ قال تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾، ﴿وَانْتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾، ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ وقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَآءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ فَنَفَى الإِنظارَ عنهم إِشارةً إِلى ما

نَبَّه عليه بقوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾. وقوله: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ أَي غير منتظرين، ويُستعمل النظر أَيضاً في التَّحَيُّر في الأَمر نحو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾، ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾، ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾، ﴿وَمِنهُمْ مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ﴾ كلّ ذلك نظرٌ عن تَحَيُّرٍ دالٍّ على قِلَّة الغَناءِ. وقوله: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ﴾، قيل: تُشاهِدُون، وقيل: تَعْتَبِرون»[٢٢].

وخلص في التحقيق في كلمات القرآن الى القول: «والتحقيق ان الأصل الواحد في المادة هو رؤية في تعمق وتحقيق في موضوع ماديّ أو معنويّ، بصر أو ببصيرة ١٨٥، وسبق في رأى: أن النظر طلب الهدى والظهور، كما في الفروق، فالنظر في المادي المحسوس، كما في ﴿فَلْيَنْظُرِ الإِنْسانُ إِلى طَعامِهِ﴾ و ﴿أَ فَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ﴾، ويراد التوجه بالبصر والتعمق والتدبر ١٨٧، أما الانتظار فهو بمعنى اختيار النظر وانتخابه، وأما مفهوم الترقب فهو من لوازم اختيار معنى النظر، كما في ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ﴾، ﴿فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾١٠/ ٢٠. ففي كلمة الانتظار يلاحظ النظر واختياره، واذا اختار الانسان برنامج النظر وكان في ذلك الأمر عاملا فهو مرتقب، فالأصل محفوظ في مشتقات المادة»[٢٣].

مادة نظر ومشتقاتها في القرآن الكريم

وقد عمل بعض الباحثين على احصاء استعمال هذه المادة وصيغها في القرآن الكريم فبلغ ما جاء من هذه المادة مع اختلاف الصيغ فكان مجموعها (١٢٩) كلمة من هذا الجذر وبإخراج المتشابهات فيبلغ عددها ٧٤ لفظة؛ وهي: «أَنظُر(١) أَنظِرْني (١) النَّاظِرينَ (١) المُنتَظِرينَ (٣) المُنظَرينَ (٣) انتَظِرُوا (١) انظُر(١٠) انظُرُوا (٣) انظُرُونَا(١) انظُرْنَا(١) تَنظُرُونَ (٤) تُنظِرُونِ (٣) سَنَنظُرُ (١) فَأَنظِرْني (٢) فَانتَظِرُوا (٣) فَانظُر (١٣) فَانظُرُوا (٥) فَانظُرِي (١) فَلْيَنظُر (٢) فَلْيَنظُرِ (٢) فَنَاظِرَةٌ (١)فَنَظَرَ (١) فَنَظِرَةٌ (١) فَيَنظُرَ (١) فَيَنظُرُوا (٦) لِلنَّاظِرِينَ (٣) لِنَنظُرَ (١) مُنتَظِرُونَ (٣) مُنظَرُونَ (١) مُنظَرِينَ (٢) نَاظِرَةٌ (١) نَاظِرِينَ (١) نَظَرَ (٣) نَظْرَةً (١) نَنظُر(١) وَانتَظِر (١) وَانتَظِرُوا (١) وَانظُر (٣) وَانظُرُوا (١) وَانظُرْنَا (١) وَلْتَنظُر (١) يَنتَظِرُ (١) يَنتَظِرُونَ (١) يَنظُرُ (٤) يَنظُرُوا (٢) يَنظُرُونَ (١٩) يُنْظَرُونَ (٦)»[٢٤]

انتظر ومنتظرون

أما الفعل ينتظر فقد استعمل في ثماني موارد والأمر منه (انتظر) استعمل ستة مرات منها خمسة للجمع المخاطب باسنادها الى واو الجماعة (انتظروا) وواحدة للمفرد (انتظر) بإسناد الى المخاطب المفرد. وعدد ستة[٢٥]، هو نفسه عدد مرات استعمال الاسم من هذا الفعل أي (مُنتَظِرُونَ)؛ وهو صيغة اسم الفاعل من الفعل انتظر.

حصر الآيات:

إن الموارد[٢٦] التي جاء فيها استعمال هاتين اللفظتين وهما في تركيب واحد هي ما يأتي متتابعة بحسب ورود السور وأرقام الآيات:

١. سورة الأنعام (سورة ٦) اية١٥٨.

٢. سورة الأعراف (سورة ٧) اية٧١.

٣. سورة يونس (سورة ١٠) اية٢٠.

٤. سورة يونس (سورة ١٠) اية١٠٢.

٥. سورة هود (سورة ١١) اية ٢٢١ قرب نهاية السورة.

٦. سورة السجدة (سورة ٢٣) اية ٣٠ نهاية السورة.

والآيات هي قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام١٥٨]. ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف ١٧]. ﴿وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ للّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس ٢٠]. ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ [يونس ١٠٢]. ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ [هود١٢٢]. ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [السجدة ٢٩ -٣٠]. ومن الآيات التي ذكر فيها فعل الانتظار قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا * مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا﴾[الأحزاب ٢٢-٢٣].

وهي تنص على أنّ طائفة من المؤمنين سيبقون على عهدهم مع الله تعالى صادقين ولا يبدّلون هذا العهد بغيره. ويبدو أن الآية قد لا تتعلق بما سبقها في الآية (٢٢) إلا أن ربط الآيتين قد يتجلى في تكرار لفظة المؤمنين بينهما. الا أن محل الفائدة أن دلالة الإنتظار تنحو أن تكون من الأفعال التي تبرز العلاقة العظيم مع الله تعالى بالبقاء على العهد انتظارا لتلك اللحظة التي يقضي من بقى نحبه لمعاهدته الله على ذلك .وههنا لا يمكن أن نفهم أن الانتظار هو ذلك الفعل السلبيّ الذي يبقى فيه الانسان عاطلا عن أعماله ووظائفه في الحياة.

ونعمل فيما يأتي على توزيع هذه الموارد القرآنيّة أن منها ماكان متعلقا بالأمم السابقة ومنها ما تعلق بهذه الأمة المحمدية .

المبحث الثاني

الانتظار سنة في السابقين واللاحقين

اقتصر ذكر انتظروا ههنا على قوم عاد، فإن هوداً عليه السلام لمّا رأى إعراض قومه ووصفهم إياه بالسفاهة، وتماديهم في الاعراض عن الله تعالى وتقديس ما كان يعبدوا أباؤهم الذي لم تكن إلا أسماء هم سموها وأباؤهم من قبل، فما كان من هود عليه السلام الا أن قال لهم: فانتظروا إنّي معكم من المنتظرين. في إشارة الى أن رجسا وغضب من الله سيأتيهم وبه سيكون القضاء على عاد، ونجاة هود والمؤمنين* .

قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ* قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾[الأعراف٢٧-٥٦].

الانتظار ههنا قد تحقق عندما جاء عاد ما وُعِدت، بعد رفضها التوحيد، وكانوا ينطلقون من معاندة وجدال، ونفي الإيمان أن تكذيبهم قاطع ﴿كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا﴾ لا يدخله شيء يؤدي الى اعذارهم من التباس ونحوه من نية أو غيرها. قال تعالى:

﴿وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِم وَعَصَوْاْ رُسُلَهُ وَاتَّبَعُواْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾

[هود ٥٩]. وفيهم ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الشعراء ١٣٥].

وقال تعالى:

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنصَرُونَ﴾[فصلت١٥-١٦].

فكان الانتظار من الطرفين ﴿فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ لكن صفة المنتظرين تعلّقت بنبيّ الله تعالى (هود عليه السلام) وقوله أنّه معهم من المنتظرين لا يعني أنهم كانوا ينتظروا ما وعدهم نبيّ بتكذيبهم إياه، لأنهم ببساطة لا يصدقونه في تهديده لهم ولو صدّقوه فكان الأولى به أن يصدقوه في دعوته، بل قول النبي هود عليه السلام بيان لحاله معهم في المدة الباقية فهو منتظر لأمر الله، ولم يعدّ هناك فائدة من انذاره وتبليغه لهم. وفي الآية دلالة على وجود منتظرين معروفين هو منهم لدخول (أل) عليها (أي: المنتظرين)، التي أقرب فيها أن تكون عهديّة لا جنسيّة، إذ فعلُ الانتظار حادث جديد بسبب طارئ وليس هو من مستقر الحال. وقد كان عقب هذا الحال أن نجّى الله تعالى عباده ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾.

على ما تقدّم يمكن القول أن نوجز دلالة هذا التركيب وما يحف به من قرائن على النحو الآتي:

١. دلالة الأمر في انتظروا، لم تكون حقيقة في طلب ايقاع الفعل ممن يدل ضمير الجماعة عليه وهم عاد المستكبرون، الطاغون، بل دلالته على انتظار يقع عفوا منهم، لأنه قد حسم أمرهم.

٢. في قبالة الأمر هناك من يقع منه الانتظار فاتسم به (المنتظرون) وهم هود ومن آمن به.

٣.الانتظار كان لرجس من الله وغضب على عاد، وقد فرغ من اقراره لقوله: (وقع عليكم...) بالفعل الماضي.

٤ .رفضهم للتوحيد واستكبارهم والبقاء على عبادتهم ما أطلقوا عليه هم وأباؤهم تسميته. بمعنى أن الانكار كان لأمر عظيم استحقوا به العذاب.

من هنا يمكن أن نفهم أن هذا التصور للانتظار في الأمم السابقة سيكون عينه في أمة خاتم النبيين صلى الله عليه وآله، لما تقدّم من استدلالنا في بعض البحوث في هذا المجال[٢٧]

من تقرير القرآن الكريم لمثل هذا الأمر لقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا * أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[فاطر٤٢-٤٤] .﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾[الإسراء٧٦-٧٧]. ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾[الأحزاب٦٢].

الآيات المتعلقة بالانتظار في الأمة المحمدية

ظهر ممّا سبق أن الأمر انتظروا متوجه نحو منكري التوحيد من عاد، وأنّ الانتظار كان متعلقا بالعذاب الذي استأصل هؤلاء ونجاة هود عليه السلام ومن معه. هذا في الماضي أمّا في هذه الأمّة المحمديّة فهي بقية المواضع وأولها ما ورد في سورة الأنعام المباركة قوله تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا

لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[الأنعام١٥٥- ١٥٨].

بعد ذكر إتيان موسى عليه السلام الكتاب وفيه تفصيل لكل شيء، وقد أنزل على هذه الأمة كتاب مبارك؛ فمن أظلم ممن كذّب بآيات الله وصدف عن آياتنا ثم الآية (١٥٨) من الانعام تأتيهم ﴿الْمَلَآئِكَةُ أَوْ رَبُّكَ أَوْ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ فمجيئها لصالح من آمن قبل مجيئها.

بدءاً فإن سياق الآيات دالٌّ على تعلقه بهذه الأمة، وهنا مجموعة من الألفاظ ينبغي لنا الوقوف عندها ليتتضح الدلالة المعنيّة في ﴿انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾. فآيات الله الواردة ههنا هي الآيات التي تتلى، أي الآيات المقروءة أو المسموعة، وليست آيات معاينة، بل هي أشخاص أو مخلوقات أخرى أو حوادث متعلقة بالله تعالى دالة على بعض إرادته. وتتعضد دلالة آيات الله بقوله تعالى:﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[البقرة ٢٥٢]، وقوله أيضا: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران ١١٣]. ومواضع أخرى، يمكن ان تفيدنا أنها آيات محددة لا مطلق الآيات التي تتلى نذكر منها موردا واحدا[٢٨]؛ نكتفي منها بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ *

وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾[آل عمران ١٠٢-١٠٨]. فقوله تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾، باستعمال اسم الاشارة تلك دالّ على ما تقدّمها من آيات ابتداء من النداء ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الى ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. وهي آيات دعت الذين آمنوا الى التقوى بأعلى درجاتها وذكر نعم الله، وأنْ يكون منهم أمّة يدعون الى الخير والدعوة الى نبذ الاختلاف بل الاعتصام بحبل الله. وفي مورد آخر أنّ التكذيب بهذه الآيات سيكون السوأى فقال تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَى أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِؤُونَ﴾ [الروم ١٠]. ويقترن يصدفون بمثل ما تقدّم في موضع آخر من نفس السورة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾[الأنعام٤٧-٤٦].

ودلالته واضحة على شدة المعاندة والتمنع عن قبول الحق وقريب منه قول الأصبهاني: «صدف عنه: أعرض إعراضا شديداً يجري مجرى الصدف، أي: الميل في أرجل البعير، أو في الصلابة كصدف الجبل أي: جانبه، أو الصدف الذي يخرج من البحر»[٢٩]. والمعنى القرآني الأقرب بحسب منهجنا المعتمد على المدونة المغلقة أي نظير فهم القرآن بالقرآن نفسه هو الصلابة من صدف الجبل، وهو ما يفاد من قوله

تعالى في ذكر الصدفين ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ [الكهف ٦٩]. وقوله الصدفين ، يقتضي أن يشتمل على ارتفاع، وصلابة ليتحمل النار وحرارتها، فيصدفون دالّ على التكبر، وصلابة في التحجر بعدم الخضوع لإرادة الله تعالى .

آيات ربك

وهي في قوله: ﴿أو يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، آيات ربنا ههنا هي آيات واقعة كحادثة وهي تحول العصا الى حية فتلقفت حبال السحرة وعصيهم. كما يستدل عليه من الآيات الآتية: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبرا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف ١٢٦]، ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾[يس ٤٦]. ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ﴾[الأنفال ٥٤]فقد كذّب آل فرعون على نحو واضح بالآيات الحادثة الواقعة وهي (تسع آيات) .

وإنكار هذه الآيات يوجب أن يكون المنكر في درجة عليا من الظلم والخسران ،لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا * وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا﴾[الكهف ٥٧-٥٨]. ولهذا اقتضى أن يكون لهم موعد للعذاب. وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[الكهف ١٠٥-١٠٣]، فالأكثر خسارة هؤلاء الذين كفروا بهذه الآيات وكذا يحدد لهم موعد (أجل مسمى)

مع شدة عذاب الآخرة ،بقوله: ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾[طه ١٢٧]، ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى ﴾[طه١٢٨-١٢٩].

ممّا تقدّم يتّضح أن آيات ربك هي الآيات الواقعة (عبارة عن حدث) وليس المقصود بها الآيات التي تتلى أو الآيات المكتوبة.. ما يعني أنها بوجودها العياني دالة على الله تعالى فكانت الإضافة إلى (ربّ) مع مراعاة أن هدفها إصلاح المعنيين لما في لفظة الرب من منحى تربويّ؛ فكان انكار الصريح الواضح سببا لتعجيل العذاب أو استحقاقه بموعد، وهم الأخسرين أعمالا. من هنا سيكون مجيء بعض آيات ربك تعني أمرا عيانا سيحلّ وهو مما ينتظر، ويوم تأتي لا ينفع الا ما سبق من إيمان ، والإيمان بهذه الآية عند مجيئها لن يكون نافعا. الأمر الذي يرجح أن هذه الآية لن تأتي لإقامة الحجة على المعاندين بل تأتي للمحاسبة، فيوم هذه الآية أشبه بيوم الحساب.

إذن فالانتظار ههنا سيكون متعلقا بحلول هذه الآية، مع ملاحظة أن الاستعمال القرآني للفعل (تَأْتِيهُمُ) الذي بلغ (٧١) ومثلها لـ (يَأْتِيهُمُ) تحيل كلها الى حادث في المستقبل، ومن أوضح الموارد تلك أنه أقترن ذكر هذا الفعل مع الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الأعراف ١٨٧]، ﴿أَفَأَمِنُواْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[يوسف ١٠٧]. ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا الساعة أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاء أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾[محمد ١٨]، ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الساعة بَغْتَةً

أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾[الحج٥٥].

وكنا فيما مضى قد أفردنا بحثا خاصا للدلالة هذه اللفظة وقد توصلنا فيها أن الساعة هي: علم دالّ على عاقل يكون على يديه الحساب والمجازاة على الأرض ، مع اقتران أمر وعلمها بالله حصرا وتحقق ذلك في الدنيا لا بد منه لأنّها وعد إلهيّ للناس[٣٠]. وعلى هذا فإنّ الفعل في (يأتيهم بعض آيات ربك) يتوافق زمنيا مع الساعة ومع العذاب ومع الموعد وتحقق الوعد، وقد قال تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء٤٠]، فتأتيهم سواء أحال الضمير فيها الى النار أو الى الساعة عبر دلالة السياق العام الذي سمّيناه سياق المدوّنة، ولا سيما مع ظهور (بغتة) التي اقترنت مع الساعة في أكثر من مورد قرآنيّ. وكل هذا يعني أن بعض آيات ربّك تقترب من دلالة الساعة على الشخص المرتبط بالله تعالى في مستقبل هذه الأمة. وكلٌّ منتظر أمره والانتظار كم يفهم سياقيا انتظار ديني أو عقيديّ ولهذا فمن ينكر ينتظر بحسب عقيدته ان يفوز والقائل ينتظر بحسب عقيدته لتحقيق الوعد. وليس حدثا يمارس.

المبحث الثالث

الانتظار عند الطرفين كلٌّ على شاكلته

﴿لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾

المورد الثاني: من موارد الانتظار في هذه الأمّة قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُواْ وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَيَقُولُونَ لَوْلاَ أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّهِ فَانْتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾[يونس١٩-٢٠]. وواضح هذا الطلب من هؤلاء بأنزال آية يتحقق في المستقبل لما تقدّم من الاية الآنفة الذكر ومن نظائر هذه الاية قوله تعالى في الأنعام:

﴿وَقَالُواْ لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللّهَ قَادِرٌ عَلَى أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[الأنعام ٧٣]. ويبدو أن هذه الآية مطلب أكابر المجرمين: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾[الأنعام١٢٣-١٢٤].

ولفظة (آية) استعملت في القرآن الكريم بدلالة على حوادث مقترنة بالله تعالى كعدم تكليم زكريا الناس ثلاثة أيام الا رمزاً أو أشخاص مقربين منه كعيسى وأمه عليهما السلام، أو أمور معاينة من نحو المائدة التي أُنزلت من السماء للحواريين، ونحو ذلك كما يتضح من موارد استعمال هذه اللفظة في القرآن الكريم التي تبلغ(٩٧) مورداً. ﴿مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾

المورد الثالث: قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلاَّ مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُواْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُواْ كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس١٠٢-١٠٣].

الانتظار يخصّ هذه الأمة، ينتظرون مِثْلَما كان ينتظر من خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ، وهم أهل الأمم التي لم تمتثل لأنبيائها بل عتت وتجبّرت، وجاء ذكر أخبارهم. فالأمر محسوم في أنّ

الانتظار هو انتظار لحدوث ما حدث فيمن سبق، فما سيقع غير بعيد عمّا وقع عند من سبقهم والقرب الى أن المقصود بهم هم قوم عاد وثمود لقربهم زمنا ومكانا وقد قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ * إِذْ جَاءتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاء رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾[فصلت ١٣-١٤]. والآية فيها إشارة إلى رسل قد بعثهم الله الى عاد وثمود.

أمّا قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا﴾ الواردة في الاية موضع لبحث فهي تشير إلى أنّ هناك جماعة يرسلهم الله تعالى إلى هؤلاء ويظهر أن المقصود من لفظة (ورسلنا) هم الملائكة. إذ يظهر أن هناك طائفة من الملائكة تتكفل بالمشاركة في الدعوة الى الله تعالى أو المشاركة في ايقاع العذاب وإحداث البلاء ممّا وعد به العتاة المجرمون ،وتتضح الدلالة القرآنية للفظة (رسلنا) بكونها تعني الملائكة الموكلون بأمر معين ،على ما في الآيتين: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُم حَفَظَةً حَتَّىَ إِذَا جَاء أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام ٦١]، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُوْلَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُواْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَافِرِينَ﴾[الأعراف ٧٣]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ الْمَلآئِكَةُ يَضرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُواْ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[الأنفال٥٠] ،وهم الكتبة، ممن يكتب مواقف الناس، للمكر بآخرين: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[يونس ٢١]، وهم من بعث الله تعالى لانزال العذاب على الأقوام التي عتت وعصت أنبياءها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾[هود ٩٦]، وقوله: ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾[العنكبوت ٣١]. ﴿وَلَمَّا جَاءتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾[هود ٧٧]، ﴿سُنَّةَ

مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلاَ تَجِدُ لسُنَّتِنَا تَحويلاً﴾]الإسراء ٧٧ [،﴿مَا تَسْبقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ * ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاء أُمَّةً رَّسُولَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون٤٤][٣١].

وقد توحي بعض الآيات أن دلالة رسلنا تعمّ الرسل من البشر الذي كلفهم الله تعالى لهداية الأقوام، كما يظهر في آيات عدة من نحو قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر٧٠] ،﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف ٤٥]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد ٥٢]، وعلى ذلك فان الدلالة القرآنية المتحصلة للفظة (رسلنا) هي للجهات المكلفة بأمر محدد سواء أكانوا بشر أم كانوا ملائكة.

ويمكن أن تخصص بجماعة محددة من الملائكة وذلك باصطفائهم فهم ليسوا كسائر الملائكة! لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج ٥٧]. وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لله فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[فاطر ١]. إذن فرسلنا تعم من اصطفاهم الله تعالى من خلقه بشرا وملائكة. وقد جاء في المورد الرابع من موارد بحثنا ذكر الرسل.

﴿اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾

المورد الرابع: قال تعالى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاء الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[هود ١٢٠-١٢٣]. يتعاضد هذا المورد مع ما مضى فيما يتعلق بالانتظار ولكنه كان أكثر تركيزا في ذكر الماضيين فبعد ذكر القرون

السابقة وهلاك أهل القرى بسبب ظلمهم ،فلا يمكن أن يهلكوا وهم صالحون، ولو شاء الله تعالى أن يحوّل المتفرقين الى أمة واحدة، لفعل؛ ولكن أمرهم اليهم ههنا فاختاروا الاختلاف، والله يريد لهم الرحمة (الرحمة بوحدتهم) وهي هدف الخلق لا اختلافهم، أي للرحمة خلقهم.

ويأتي الله تعالى على ذكر هذا النفي المطلقٌ، لأنه لم يتعلق بنفي الايمان بشيء محدد، كأن يقول لا يؤمنون بالله أو باليوم الآخر أو نحو ذلك، والاستعمال بهذا الحال يراد به مطلق الإيمان. ويعني ذلك أنهم لا يؤمنون بشيء. ويمكن مقاربة دلالة المعنيين بذلك في ظل الموارد الأخرى لاستعمال (الذين لا يؤمنون) وهي:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [فصلت ٤٤]. فالقرآن مع هؤلاء عمىّ عليهم، فقد جعل في آذانهم وقر، وورد في هذا المورد ما يتعاضد مع ما جاء في الموضع السابق بوجود جماعة لا يفيدها الوعظ، ولن ينفعها القرآن. كما قبل المورد الأخير من الانتظار ،وفي هذا المورد توضيح أشدّ توضيحاً لمعنى الانتظار المذكور في موارده القرآنية بقوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[هود١٢١-١٢٢]، فالفريقان يعمل كل منهما على مكانته ويتشارك ذلك مع دعوة وانتظار.

الانتظار والفتح

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾[السجدة ٣٠]. وهو المورد المهم في ايضاح أن الانتظار يستمر الى مجيء الفتح ويكمل الحلقة اتصالا مع المورد الأول الذي ورد فيه قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام ١٥٨]. فيوم الفتح هو يوم يأتي بعض آيات ربك وقد ذكرنا أن بعض آيات ربك دالّة على الشخص المتعلق أمره بالله تعالى ،لأن آيات ربك دالة على آيات معاينة لا آيات تتلى كالآيات القرآنية.

وفي قوله: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ هذا الفتح؟ يحيل الى ما مضى في الآيتين السابقتين من الأهلاك لمن عصى الله وتحقق الفتح بذلك الماء الذي يأتي الأرض فتأكل منه من على هذا الأرض.

ويربطنا ايراد (يوم الفتح) ههنا بطائفة من الآيات الذي تتلاقى مضامينها مع ما تمّ لنا التنويه إليه في ظل الدلالات القرآنية فيما مضى. فقد وردت لفظة (الفتح) في(٦) موارد وقد جاءت فيه سورتان سميت الأولى سورة الفتح وهي سورة مهمة لما سيحدث في ذلك اليوم وجاءت فيها قبيل انتهاء السورة قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح ٨٢].

من هنا فيوم الفتح هو يوم الدين الواحد، يوم يعمّ الاسلام بقاع المعمورة ،يؤكده ما ورد في السورة الثانية وهي سورة النصر السورة التي توضح أن انتشار الاسلام بدخول الناس فيه على صورة جماعات جماعات، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[النصر ١-٣].

نتائج البحث

يلحظ ممّا تقدم في الموارد التي جرى ذكرها للانتظار ما يأتي:

١. وجدنا تطابقا بين عدد مرات استعمال انتظر ومنتظرون والفتح، بستة موارد قرآنية لكل منها، ولو رجعنا الى اسكشاف دلالة هذا العدد قرآنيا لوجدناه قد استعمل مع أمور عظيم وهي أن خلق السموات والأرض وما بينهما كان في ستة أيام، ومن هنا فدلالة استعمال هذا العدد مع ألفاظ البحث تدخل الانتظار والفتح في جملة الأمور الكونية المرتبطة بالخلق والمشروع الالهي فالفتح وانتظاره أمران مرتبطان بالمشروع الإلهي لهذا الكون.

٢. الطرف الأول في الانتظار هو الرسول صلى الله عليه وآله، ممثلا للارادة الإلهي في دعوة الطرف الثاني للانتظار. مع وجود الأمر الصريح بالفعل (قل) واستعمل له إنا منتظرون بالجمع، معبرا عن الارادة الالهية والقوى التي تنسجم معها ومنهم رسوله الكريم.

٣. الطرف الثاني: وهو طرف كذب بآيات الله وصدف عنها، يعبدون من دون الله أسماء متبعين أباءهم، اختلفوا، ويريدون آية تنزل على الرسول، وهم لا يؤمنون ولا تنفعهم الآيات، الذين كفروا، ويعني ذلك أن هؤلاء لم يكونوا بدءا كافرين بل أحدثوا لهم كفراً وهذا القسم مهم جدا في بيان أنّ هناك من سيرفض أن يكون مع الرسول في انتظاره، بل يكون الفريق الآخر. وقد جاء الاستعمال ههنا مختلفا عن الموارد الخمسة التي جاءت بانتظروا اما هذا المورد فقد جاء

بالمفرد بقوله: ﴿وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ﴾ واقترن بيوم الفتح وهو اقتران محدد مع ما له من أهمية للرؤية المستقبلية الحتميّة.

٤. وصفهم بالمنتظرين فيه تأكيد لما نقوله من أن الذين كفروا لم يكونوا سابقا كافرين، بل هم جماعة مسلمة ارتضوا أن يكون انتظارهم على طريقة أخرى لا يرتضيها الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله.

٥.هناك طائفة من النتائج جرى التوصل اليها عبر اقترانات عدة للآيات موضع البحث وألفاظها، تؤكد أننا بانتظار يوم عظيم قادم هو يوم الفتح.

٦.إذا كان انتظار الرسول لتحقق الارادة الإلهية وانتظار ليوم الفتح، فان انتظار غيرهم هو البقاء على ما كانوا عليه. فالانتظار للفريقين هو بقاء كل على عمله الأول وشاكلته التي قررها سابقا بانتمائه الى أحد الفريقين.

الهوامش

١. وقد تنبّه سيبويه لهذه القدرة التكوينيّة في المقولات الفعلية، ويبدو أنّ مفهوم التعدّي عند سيبويه يمثّل مصطلح تلك القدرة مع دخول اعتبارات الصحة النحويّة التي نوّه إليها سيبويه في باب الاستقامة من الكلام والإحالة ينظر للتّوسع: مفهوم الجملة عند سيبويه١٥٤ :وما بعدها (التكوين الخطيّ للجملة عند سيبويه).

٢. كتاب العين٨ / ١٥٤.

٣. كتاب العين(٨ / ١٥٤).

٤. كتاب العين٨/ ١٥٥.

٥. كتاب العين٨/ ١٥٥.

٦. كتاب العين٨/ ١٥٦.

٧. كتاب العين٨/ ١٥٦.

٨. المقاييس في اللغة .

٩. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٠. لسان العرب٥ / ٢١٥.

١١. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٢. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٣. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٤. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٥. لسان العرب٥/ ٢١٥.

١٦. مفردات ألفاظ القرآن٨١٢.

١٧. مفردات ألفاظ القرآن٨١٢-٨١٣.

١٨. مفردات ألفاظ القرآن٨١٣.

١٩. مفردات ألفاظ القرآن٨١٣.

٢٠. مفردات ألفاظ القرآن٨١٣.

٢١. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز٥/ ٨٢.

٢٢. بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز٥/ ٨٢-٨٣.

٢٣. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، ج١٢/ ١٨٤-١٨٧.

٢٤. معجم كلمات القرآن الكريم، أ.د. محمد زكي محمد خضر، محرم ١٤٢٦هـ - آذار ٢٠٠٥م.

٢٥.في اطار منهجنا لفهم القرآن الكريم، نقترح بما يمكن أن نطلق عليه دلالة الأعداد في القرآن الكريم، ونعني بها جانبين الأول عدد استعمال المادة التي يتمّ رصدها، والثاني استعمال اسماء العدد نفسها في الآيات القرآنية، يساعدنا على ذلك خصوصية المدونة القرآنية، ورصد جانب ما أطلق عليه (الإعجاز العددي في القرآن الكريم) وعلى ذلك أخرجت مؤلفات عديدة، مع التفاوت في جدارة النتائج التي يتوصل اليها وكيفية ذلك، ولكن الأمر عموما ما زال بحاجة الى التأمل والتأسيس على اسس رصينة. ومن هنا نذكر في العدد ستة الذي هو عدد موارد استعمال كل من اللفظتين (انتظر ومنتظرون) وفي هذا الرقم دلالة على اقترانه بتكوين الكون ،وادارته، بمعنى أن منتظرون يرتبط بمشروع تكويني للدنيا، لا بدّ منه، وهو مشروع مستقبلي سيكون في هذه الأمة .﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف ٥٤]. ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [يونس ٣].﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[هود ٨-٧]،﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان ٩٥]. أما العدد خمسة وهو عدد موارد استعمال الفعل (انتظروا) فالمورد الذي تتضح في الدلالة هو قوله تعالى: ﴿بَلَى إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران ١٢٥-١٢٦]هي دلالة التأييد الإلهي بنصر المؤمنين وفيه البشرى بوقوع ذلك.

٢٦.تمت العملية الاحصائية بالبحث في القرآن الكريم عبر استخدام البحث التقنيّ، مع التأكيد من ذلك عبر العودة الى المعجم المفهرس للقرآن الكريم وغيره.

٢٧.قلنا في بحثنا المخصص لتقديم صياغة منهجية في فهم الدلالة القرآنية و (منهج المدونة المغلقة)، الموسوم بمنهج الدلالة القرآنية للألفاظ ص٣٦٨: «أشارت طائفة من الآيات القرآنية الى أنّ هناك سنّةً إلهية للتعامل مع الأمم السابقة المؤمنة منها، وتلك التي طغت ،وعتت عن أمر ربّها، وهذه السنّة جارية عند نزول الآيات وفيما يُستقبل من الأزمان، كما جرت فيما مضى، واستعمل القرآن الفاظاً مع الماضين ثمّ استعملها مع الحاضرين، ومع ما يستقبل ما قد يشير الى تعدّد دلالة اللفظة الواحدة من نحو استعمال لفظة العذاب أو الكتاب ،الأمر الذي يدعونا الى القول بأنّ الحقبة الزمنية ستدخل عاملاً قويّاً في تحديد الدلالة

المقصودة بوصفها جزءاً من سياق اللفظة اللغوي؛ وبهذا ستكون دلالة واحدة ذات مصداقين زمنيّين».

٢٨.ينظر: سورة البقرة الآيات من٢٤٦ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللّه نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمَنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [البقرة ٢٥٢]، وفيها قصة بني إسرائيل وتمليك طالوت عليهم يقاتلون معه .

وسورة الجاثية الآيات (١-٦). ولعل ما مرّ من الآيات هي المعنية إلا أن الارتكاز كان الى ما نظنه بداية آيات متعلقة بموضوع محدد.

٢٩.مفردات ألفاظ القرآن١/ ٥٧١.

٣٠.الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء منهج المدونة المغلقة.٢٣

٣١.تبدو الدلالة القرآنية للفظة أحاديث هي المقابل التاريخي للفظة (الأحاديث) ونعني بالمقابل التاريخي هو الغيب الذي مضى مما لا يعلمه الرسول الكريم صلى الله عليه وآله.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.
١.بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز مجد الدين الفيروز بادي (ت ٧١٨هـ) المكتبة العلمية بيروت .
٢.تأويل الأحاديث عند يوسف الصديق عليه السلام دراسة دلاليّة في ضوء منهج المدوّنة المغلقة، ضمن أعمال مؤتمر كلية التربية للبنات ٢٠١٥، قيد الطبع.
٣.التحقيق في كلمات القرآن الكريم ،العلامة مصطفويّ، نشر مركز نشر آثار العلامة المصطفوي،
٤.الساعة في القرآن الكريم دراسة دلالية في ضوء منهج المدوّنة المغلقة، بحوث المؤتمر العلمي الثامن عشر لكلية التربية ،الجامعةالمستنصرية،٢٠١١م. (ص١١-٣٢). نشر بمجلة والقلم ع٤٢، س٦ ،٢٠١٢، (ص٤٢-٤٣).
٥.العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (٥٧١هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة والفنون، العراق، بغداد، مطابع الرسالة ،الكويت١٩٨٠ م.
٦.كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت٥٨١هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب للطباعة والتوزيع، بيروت، د.ت.
٧.لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر، بيروت ،ط١.
٨.المتشابه والمحكم في القرآن الكريم (بحث في دلالة الألفاظ القرآنية)، د.حسن عبدالغني الأسدي، مجلة جامعة كربلاء ،مج٧، العدد ١، إنساني .٢٠٠٩
٩. المثاني في القرآن الكريم دراسة دلاليّة لألفاظ القرآن الكريم في ضوء منهج المدونة المغلقة، مجلة كلية التربية، بحوث المؤتمر العشرون لكلية التربية،الجامعة المستنصرية، نيسان٢٠١٣م.
١٠.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ،محمد فؤاد عبد الباقي، منشورات ذوي القربى، مطبعة أميران، إيران، ط٢ ،١٤٢٣هـ-١٨٣١.
١١.معجم كلمات القرآن الكريم، أ.د. محمد زكي محمد خضر ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥ م.
١٢.مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ت ٥٢٤هـ) تحقيق صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق والدار الشامية، بيروت، الطبعة.٢٠٠٩ ،١٣٤. مفهوم الجملة عند سيبويه، د.حسن عبد الغني الأسديّ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
١٤.مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زكَرِيّا (ت٥٩٣هـ) المحقق: عبد السَّلام محمد هَارُون، الناشر: اتحاد الكتاب العرب، الطبعة ه١٤٢٣ -٢٠٠٢م.
١٥.منهج الدلالة القرآنية للألفاظ (مدخل إلى تفسير القرآن بالقرآن)، د.حسن عبد الغني الأسديّ، مجلة آداب المستنصريّة، ع ٩٤، ٢٠٠٩م.

الحجة بن الحسن عجل الله تعالى فرجه الشريف وفلسفة الانتظار

زمن الحيرة انموذجا

أ.د. أياد عبد الحسين صيهود

جامعة كربلاء

كلية التربية للعلوم الإنسانية

ملخص البحث

الحجة بن الحسن هو الإمام الثاني عشر من الأئمة المعصومين، وله دور كبير كأدوار آبائه في رسالة الدين الإسلامي الحنيف دين جده النبي صلى الله عليه وآله، لكن حدوث غيبته عن الناس كان الحدث الأبرز في حياته، والحدث المميز عن باقي الأئمة عليهم السلام، وبما انه كان الحدث المميز فمن الطبيعي أن يكون اختلاف في طبيعة استجابة الناس لهذا الحدث.

ومن تلك الاستجابات، يمكن أن تعدها الاستجابة السلبية التي، سواء كانت مقصودة أو غير مقصودة، تمثلت بوقوع الحيرة، في من يكون الإمام الثاني عشر ،كما كان لوجود المتربصين بأهل البيت عليهم السلام والطامعين بهذا المنصب الإلهي المهم دور كبير في محاولة أيهام الناس، وادعاء الإمامة عن الإمامة تارة، وادعاء السفارة تارة أخرى فوقع بعض الناس في إرباك فكري وعقائدي خطير رغم تحذير النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين من حدوثها قبل وقوعها، فضلاً عن دور الإمام المهدي عجل الله فرجه وسفرائه الأربعة في مواجهتها وتوعية الناس من خطورة الوقوع فيها، وهو ما يدور حوله البحث ولاسيما في مرحلة بداية وقوع الغيبة الصغرى سنة (٢٦٠هـ ٨٧٣-م) أي مع بداية سفارة السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، إذ كان للسفراء أثرهم الواضح في انجلاء الحيرة عن الناس في شأن تشخيص الإمام الثاني عشر للشيعة ،ومواجهتهم أدعياء السفارة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه البالغ عددهم تسعة أشخاص وفضح مؤامراتهم.

تكوّن البحث من مبحثين وخاتمة: المبحث الأول: تناول أسباب وقوع الحيرة، والمبحث الثاني: أحداث الحيرة وكيفية مواجهتها من الإمام المهدي عجل الله فرجه وسفيره الأول عثمان بن سعيد العمري. أما الخاتمة فقد تضمنت مجموعة من النتائج التي توصّل إليها البحث، منها: أنّ الحيرة ذُكرت من قِبل النبي محمد صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام قبل وقوعها، وهناك أسباب عديدة تقف وراء حدوثها، كما إن زمان حدوثها كان في بداية الغيبة الصغرى أي في عهد السفير الأول للإمام المهدي عجل الله فرجه عثمان بن سعيد العمري.

ABSTRACT

•Ibn Al-Hassan the evidence is the twelfth of the infallibles and takes so great a role in the sound Islamic message as his fathers did. Yet his disappearance comes as seismic to all and as prominent for the other imams. As such it claims more attention and responses that instigates those who envy such a stance to fabricate certain machinations against Ahlalbayt.

•However, the research paper rotates around the small disappearance in 260 hegira / 873 CE ,that is to say ,it is with the first ambassador Othman Ibn Sa`aed Al-`Amari, the dilemma people embattled with fades at the hand of the ambassadors.

•The current research paper ramifies into two sections with a conclusion, the first tackles the reasons beyond the dilemma, the second does the events of dilemma and how both the imam and the first ambassador confront, ultimately the conclusion terminates at certain results: the dilemma mentioned by the prophet and the immaculate imams before it strikes people.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وشفيعنا في يوم الدين، وآله الطيبين الطاهرين. وبعد...

تعد مسألة الإمام المهدي عجل الله فرجه، من المسائل المهمة في الفكر الإسلامي، وقدُ ألفت كثير من المصادر عنها، قديما وحديثا. فضلا عن كثير من الأحاديث الواردة بشأن الفكرة المهدوية وما يتعلق بها من آراء كلامية.

وهذه المسألة من الأهمية بحيث ارتبطت بها قيادة الأمة وإدارة شؤنها فمن المتوقع أن يتربص بها المتربصون لإرباك المسلمين في أن يبصروا القائد والإمام الحق الذي به تستقيم الأمور، فتولدت كثير من المشاكل والانحرافات الفكرية منذ بداية الغيبة الصغرى وتحديدا في منتصف القرن الرابع الهجري.

ومن هذه المشاكل: هي (الحيرة) التي التهمت عقول الكثير من الناس في من يكون الإمام الحقيقي، ومن ينوب عنه، وتقف ورائها أسباب عدة تم التطرق اليها في هذا البحث، وتجدر الإشارة الى أنها وقعت رغم تحذير النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام منها في أحاديث كثيرة، فضلاً عن دور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وسفرائه (رضوان الله عليهم)، في مواجهتها من خلال التصدي لكل من يحاول أيهام الناس وتغيير معتقداتهم ولاسيما في مرحلة الغيبة الصغرى التي استمرت ما يقارب سبعين عاماً (٢٦٠- ٣٢٩هـ/ ٨٧٣ -٩٤٠م). وظهر فيها من ادعى أنّه الإمام المهدي المنتظر، ومن ادعى أنّه هو سفير الإمام، وهناك من ادعى أنّه من وكلائه (رضوان الله عليهم)، ولأسباب وغايات مختلفة أوهموا بها الناس، تناولنا في هذا البحث مسألة الحيرة في بداية ظهورها مع بداية الغيبة الصغرى وتحديدا في عهد السفير الأول عثمان بن سعيد العمري، وبمبحثين، الأول: تناول أهم الأسباب التي ادت الى ظهور الحيرة، أما الثاني: فتناولنا أحداث الحيرة، وكيفية مواجهتها من قبل الإمام المهدي عجل الله فرجه وسفيره .نسأله تعالى أن يتقبل منا هذا العمل المتواضع، وأن يعجل بظهور مولانا صاحب العصر والزمان حفيد النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار كي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، أنه سميع مجيب .

المبحث الاول

أسباب وقوع الحيرة في الغيبة الصغرى

إنّ مسألة الحيرة من المسائل المهمة التي ابتليت بها الأمة لإبعاد وجه الحقيقة في المسألة المهدوية، فقد استغلت من جهات وأطراف منحرفة تحاول استغلال تلك المسألة في تحقيق كثير من المآرب، والأخطر من ذلك عندما تؤطر بإطار فكري ديني مستغلة مجموعة من الظروف السياسية والثقافية للإمة لإيهام الناس في الحقيقة الوجودية للإمام المهدي عجل الله فرجه، خصوصا وأنّ الإمام المهدي عجل الله فرجه مرّ بمرحلة جديدة وحديثة في عهد الأمة الإسلامية وذلك عندما اختفى عن الأنظار بعد وقوع الغيبة الصغرى وهذا ما يمكن أنْ يعدّ السبب الأول لظهور الحيرة في عصر الغيبة. أما السبب الثاني للحيرة فهو ظاهرة السفارة المزيفة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه في عصر الغيبة الصغرى، إذ لم تكن أمراً بعيداً عن أذهان مدَّعيها بل كان ذلك في عهد الأئمة الذين سبقوا الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ففي عصر الإمام علي الهادي عليه السلام خرج فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني[1]، وكان من أتباع الإمام عليه السلام في سامراء، فخان الإمام عليه السلام والشيعة خيانة أصدر الإمام عليه السلام على أثرها أمراً الى علي بن عمرو القزويني[2] بلعنه وقتله قائلاً له:

((إعتقد فيما تدين الله تعالى به ان الباطن عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه، وهو فارس لعنه الله فانه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه وقصده ومعاداته ،والمبالغة في ذلك أكثر ما تد للسبيل إليه))[3].

ثم خرج عروة بن يحيى الذي كان نقيباً لوكلاء الإمام الهادي عليه السلام ومن بعده للإمام الحسن العسكري عليه السلام في بغداد؛ يقبض الأموال من الناس الاّ أنّه قام باختلاسها. واتهام الإمام الهادي عليه السلام بسرقتها لتبرير خروجه على الإمام عليه السلام، وبعدها قام بسرقة الأموال الشرعية عند الإمام الحسن العسكري عليه السلام واحرق جزءا منها، فدعا عليه الإمام عليه السلام فلم يلبث إلا قليلا[4].

وكان في عهد الإمامين العسكريين عليهما السلام من الغلاة، الحسن بن محمد بن بابا القمي ،أصبح مغالياً كذّاباً منذ عهد الإمام الهادي عليه السلام فذمهُ ولعنه. وبعدها زعم أنَّ الإمام الحسن عليه السلام بعثه نبياً وأنّه باب للإمام عليه السلام، فتبرأ عليه السلام منه وكتب الى احد أتباعه والذي يعرف بالعبيدي[٥] قائلاً: ((أبرأ إلى الله من الفهري[٦] والحسن بن محمد بن بابا القمي، فإني محذرك وجيع موالٍّ، واني ألعنهما عليهما لعنة الله مستأكلين يأكلان بنا الناس فتانين مؤذين آذاهما الله وأركسهما في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا إني بعثته نبياً وأنه باب عليه لعنة الله سخر منه الشيطان فأغواه فلعن الله من قبل منه ذلك يا محمد إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فأفعل فانه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة))[٧]. أما في عصر السفراء (عصر الغيبة الصغرى ٢٦٠- ٣٢٩هـ)، فقد توضحت معالم ادعاء السفارة وسرقة دور الإمام أكثر بازدياد مهام السفير الذي ينوب عن الإمام عجل الله فرجه في مجمل الأمور بتوجيه منه عليه السلام، فظهرت سفارة أخرى تناهضها في الدعوى وتزاحمها في زعامة الحركة الشيعية وتجمع حولها الأنصار والأتباع .

وتقف الأسباب وراء ذلك في ضعف إيمان مدّعي السفارة، والمنزلة المتميزة التي يتمتع بها السفير في المجتمع، والطمع في الأموال التي تنقل الى الإمام[٨]. وتجمع منها مبالغ كبيرة لأنها خمس الفائض من مكاسب مؤديها في كل عام، فكان الاعتماد على الثقات من الناس ليتكفّل بمهمة السفارة أمراً يثير الجدل بين الطامعين[٩].كما كان غياب الإمام المهدي عجل الله فرجه عن الأنظار مدعاة لدعوى السفارة الكاذبة وتزوير الاتصال به عجل الله فرجه، لأنها سرية بطبيعتها فلا يعاني المدعي صعوبة في بث إشاعة اللقاء به[١٠].

فضلاً عن ذلك فإنّ الظروف الصعبة التي كان يعيشها السفراء الأربعة أعانت على نشوء أدعياء السفارة، لأنهم يضطرون في بعض الأحيان الى إنكار سفارتهم أمام الناس حتى لا تصل نشاطاتهم الى مسامع السلطات[١١].

إذن فالسفارة الكاذبة: هي صورة منحرفة للسفارة الصادقة[١٢]، تحاول استغلال المنزلة التي يتمتع بها الإمام المعصوم عليه السلام، وسفيره بين القواعد الشعبية، لدواعٍ سياسية واجتماعية

واقتصادية و دينية، لذلك نرى بأنّها تُجابه بقوة من الإمام عليه السلام وسفرائه الصادقين للحفاظ على الصورة الحقيقية للدين الإسلامي من المنحرفين ،وظهور أدعياء السفارة بهذا الشكل ولا سيما وأنّ بعضهم قد كان مقربًا من الأئمة أوقع بعضهم في الحيرة والإرباك في تبعيته للإمام المعصوم .

ومن خلال تتبع اسباب ظهور الحيرة بين الناس يمكن لنا تعريفها بأنها: ظاهرة دينية واجتماعية حدثت بين الناس نتيجة تحيرهم فيمن يكون الإمام المعصوم والخلف بعد الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عليه السلام أو من ينوب عنه .

المبحث الثاني

أحداث الحيرة

أشار النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام الى مسألة الحيرة في عصر الإمام المهدي عجل الله فرجه، وذلك تحذير للناس من الوقوع فيها، وهذا ما يدفع المسلمين إلى البحث والتمحيص عن الإمام الحق والطريق القويم، وبالتالي يأمنوا فتنة تحيرهم وضياعهم في معرفة إمامهم المنتظر عجل الله فرجه، فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: ((تكون له غيبة وحيرة حتى تضل الخلق عن أديانهم، فعند ذلك يقبل كالشهاب الثاقب، فيملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا))[١٣]. وقال الإمام علي عليه السلام عن الحيرة: ((تكون له حيرة وغيبة يضل فيها أقوام، ويقتدي فيها آخرون))[١٤].

وروى الإمام الحسين عليه السلام أنّ أبيه عليه السلام اخبره قائلا: ((التاسع من ولدك يا حسين هو القائم بالحق والمظهر للدين والباسط للعدل. قال الحسين عليه السلام: قلت له: يا امير المؤمنين وان ذلك لكائن؟ فقال عليه السلام: إي والذي بعث محمدا بالنبوة ،واصطفاه على جميع البرية، ولكن بعد غيبة وحيرة فلا يثبت على دينه الا المخلصون المباشرون لروح اليقين الذين اخذ الله عز وجل ميثاقهم بولايتنا، وكتب في قلوبهم الايمان، وايدهم بروح منه))[١٥].

ويبدو من هذه الأحاديث أنّ الحيرة ووقوع البعض فيها يكون طويل الأمد أي أنّها تبدأ مع بداية اختفائه عجل الله فرجه في الغيبة الصغرى وتستمر حتى ظهوره، وما يهمنا من تلك الحيرة هي تلك التي وقعت في عصر الغيبة الصغرى فقط، اذ وقعت حيرة في العقائد الدينية المرتبطة بها شؤون الحياة المختلفة، نتيجة لظهور التيارات الباطلة ونفوذها التي استثمرت الجهل والفراغ الفكري في الأمة، مما يحمل الفرد الاعتيادي على الإنحراف أما المخلصون فهم ثابتون مؤيدون لا خوف عليهم، فمن بقي ثابتاً على ولاية أهل البيت عليهم السلام لم يقع في هذا الإنحراف .

حدثت الحيرة سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م، ٢٦١هـ / ٨٧٤م، أي في بداية الغيبة الصغرى وسفارة السفير الأول محمد بن عثمان، فقد ذكر توقيتها الإمام محمد الجواد عليه السلام عندما قيل له: من الخلف بعدك؟ فأجاب قائلاً:((ابني علي وابنا علي وأطرق ثم رفع رأسه وقال إنّا تكون

حيرة))[١٦]، روى الشيخ الصدوق (ت١٨٣ هـ/ ٩٩١م) عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام قوله:((في سنة مائتين وستين تفترق شيعتي))[١٧]، وأكمل الصدوق قائلاً:((وفيها قبض أبو محمد عليه السلام وتفرقت شيعته وأنصاره، فمنهم من انتمى الى جعفر، ومنهم من تاه وشك، ومنهم من وقف على الحيرة ومنهم من ثبت على دينه بتوفيق الله عز وجل))[١٨].

وقال احمد بن الدينور السراج[١٩]: «بعد مضي أبي محمد الحسن بن علي بسنة أو سنتين، وكان الناس في حيرة»[٢٠]. وهو تأكيد لقول الإمام العسكري عليه السلام، من أنّ الحيرة حدثت في تلك المدة .

في عهد السفير الأول عثمان بن سعيد العمري لم يظهر مدعو للسفارة ولم تذكر المصادر شيئاً منها، و السبب في ذلك أنّ الظروف لم تكن تساعد على دعوى السفارة، إذ ان الحقبة التي سبقت استلام السفير الأول لمهامه سفيراً للإمام وما بعدها، كانت السلطات فيها قد ضيقّت الخناق على الإمام المهدي عجل الله فرجه وأنصاره ،وأخذت في البحث عنهم والقضاء عليهم، فلم يكن بإمكان احد ان يحسب نفسه عليهم فيعرض نفسه للخطر[٢١].

وهناك سبب آخر يقف وراء عدم ظهور مدعو السفارة في عهد السفير الأول ،وهو إنّ السفير الأول كان ذا شخصية فعالة ومعروفة لدى الأئمة المتأخرين عليهم السلام ومواليهم، فهو «أقوى وأسمى من أن يعارضه معارض بعد تاريخه المجيد مع الإمامين العسكريين عليهما السلام»[٢٢]. وتزكيتهما له وأدائه لواجبه على وفق ما تصله من توجيهات، فجاءت سفارته للإمام المهدي عجل الله فرجه نتيجة مسيرته الطويلة مع الإمامين العسكريين عليهما السلام، فلم يستطع احد إنكاره، فضلاً عن ذلك فإنّه كان شاهداً على ولادة الإمام المهدي عجل الله فرجه وهذا ما يعضد موقفه تجاه من يحاول ادعاء مكانته، التي لم تكن معلنة إلا للثقات من الأنصار[٢٣].

وعندما ولد الإمام المهدي عليه السلام، طلبه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له:

((أشتر عشرة آلاف رطل خبز وعشرة آلاف رطل لحم، وفرقه على بني هاشم، وعق عنه بكذا وكذا شاة))[٢٤]. وبالرغم من أنّ باقي السفراء وُثقّوا أيضاً الأئمة الثلاثة عليهم السلام وكانوا موضع ثقة الجميع، كما كان السفير الأول عثمان بن سعيد. إلا أنّ أدعياء السفارة ظهروا في عهدهم.

والسبب في ذلك هو اختلاف الوقت إذ «إنّ التزوير لا يكاد يحتمل وجوده قبل أن يعتاد الناس على هذا النحو من السفارة عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهذا الاعتياد يحتاج في تحقيقه إلى زمن بطبيعة الحال، تعيشه القواعد الشعبية تجاه السفارة الصادقة وهو ما لم يتحقق في أول الغيبة الصغرى، وخلال الأعوام القليلة التي قضاها عثمان بن سعيد في سفارته»[٢٥].

غير إنّ الذي حدث في سفارة عثمان بن سعيد العمري، هو وقوع الحيرة بين الناس حول شخص الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولا سيما بعد وفاة أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام، ولم تكن وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام سبباً في وقوع الحيرة بقدر ما كانت تحدث نتيجة الأمراض النفسية التي تصيب بعض الناس بسبب خطأ في تقديراتهم وضعف في شخصية الحائر العادي أمام الخوف والإرباك الذي استشرى بين الشيعة في تلك الأيام[٢٦].

وهناك شخصية أثرت بنحو ما في حدوث الحيرة، وهو جعفر بن الإمام علي الهادي عليه السلام، الذي كان شاذاً عن سيرة آبائه، فأطلق عليه جعفر الكذاب، شب وترعرع على الانحراف عن تعاليم الإسلام، فأتخذ طريق اللهو والمجون[٢٧]. لذلك كان والده الإمام علي الهادي عليه السلام يأمر أصحابه بعدم مخالطته ويقول فيه: ((تنبوا ابني جعفراً إنّه مني بمنزلة نمرود من نوح))[٢٨].

عاصر جعفر السفير الأول عثمان بن سعيد، وابنه السفير الثاني محمد بن عثمان، وكان له نشاطات منحرفة مضادة عدة، وقف بها معارضاً للإمام المهدي عجل الله فرجه، فحدثت الحيرة نتيجة ذلك التحرك .

ومن هذه النشاطات ادعاؤه الإمامة بعد أخيه الإمام العسكري عليه السلام وإنكاره لوجود أي وريث شرعي للإمام الحسن العسكري عليه السلام غيره، فهو الذي يستحق تركته، وعندما عارضه الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف،أخبر السلطات بتحركات الإمام عجل الله فرجه الشريف فشنت حملات عدة لاعتقاله[٢٩]. على اثر ذلك بيّن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف موقفه منه لأتباعه، فأرسل توقيعاً الى السفير الثاني أبي جعفر العمري جاء فيه: ((وأما سبيل عمي جعفر وولده، فسبيل أخوة يوسف))[٣٠].

وما يؤكد وقوع الحيرة إخبار الأئمة المعصومين عليهم السلام بها، إذ قال الإمام علي عليه السلام للأصبغ بن نباته[٣١]: ((تكون له غيبة وحيرة، يضل فيها أقوام ويتدي فيها آخرون، فقلت: يا أمير المؤمنين، وكم تكون الحيرة والغيبة؟ قال: ستة أيام أو ستة أشهر أو ستة سنين))[٣٢].

وقد فسّر المجلسي في بحار الأنوار هذه السداسيات في تحديد مدة الحيرة والغيبة بـ(ستة أيام) بأنّه مبني على وقوع البداية لهذا الأمر أو ان زمان مجموعها أحد الأزمنة المذكورة، وبعد ذلك ترتفع الحيرة وتبقى الغيبة[٣٣].

وكان للسفير الأول عثمان بن سعيد العمري أثر كبير في انجلاء الحيرة، أو على الأقل إضعافها وإرجاع الناس الى الارتباط الصحيح بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عندما نقل توقيعاً صدر من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حول ظاهرة الحيرة بعد ان تشاجر ابن أبي غانم القزويني[٣٤] مع جماعة من الشيعة فيمن يخلف الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فذكر أبو غانم أنه لا خلف بعد الإمام الحسن العسكري عليه السلام فأنفذوا كتاباً إلى الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف عن طريق سفيره عثمان بن سعيد فورد جواب كتابهم منه عجل الله فرجه الشريف: ((بسم الله الرحمن الرحيم، عافانا الله من الفتن، ووهب لنا ولكم روح اليقين، وأجارنا وإياكم من سوء المنقلب، إنه إنتهى إلَيَّ إرتياب جماعة منكم في الدين وما دخلهم في الشك والحيرة في ولاة أمرهم فغمنا ذلك لكم لا لنا، وساءنا فيكم لا فينا، لان الله معنا، فلا فاقة بنا لغيره، والحق معنا، فلن يوحشنا من قعد عنا، ونحن صنايع ربنا والخلق بعد صنايعنا. يا هؤلاء – مالكم في الريب تترددون، وفي الحيرة

تنعكسون؟ أو ما سمعتم الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[٣٥]. أو ما علمتم ما جاءت به الآثار ما يكون ويحدث في أئمتكم على الماضين والباقين منهم عليهم السلام؟ أو ما رأيتم كيف جعل الله لكم معاقل تأوون إليها، وأعلاماً تتدون با من لدن آدم عليه السلام الى أن ظهر الماضي كلما غاب علم بدا علم، وإذا أفل نجم طلع نجم، فلما قبضه الله إليه ظننتم ان الله أبطل دينه، وقطع السبب بينه وبين خلقه، كلا ما كان ذلك ولا يكون حتى تقوم الساعة ويظهر أمر الله وهم كارهون. وإنَّ الماضي مض سعيداً فقيداً على منهاج آبائه (حذوا النعل بالنعل) وفينا وصيته، وعلمه، ومن هو خلفه، ومن يسد مسده، ولا ينازعنا موضعه إلا ظال آثم، و لا يدعيه دوننا إلا كافر جاحد، ولولا أمر الله لا يغلب، وسه لا يظهر، ولا يعلن، لظهر لكم من حقنا ما تبين منه عقولكم، ويزيل شكوككم، ولكنه ما شاء الله كان ولكل اجل كتاب .فاتقوا الله، وسلموا لنا، وردوا الأمر إلينا، فعلينا الإصدار، كما كان منا الإيراد، و لا تحاولوا كشف ما غُطي عنكم ولا تميلوا عن اليمين وتعدلوا الى اليسار، واجعلوا قصدكم إلينا بالمودة على السنّة الواضحة فقد نصحت لكم والله شاهد علي وعليكم ،ولولا ما عندنا من محبة صاحبكم، ورحمتكم والإشفاق عليكم لكنا عن مخاطبتكم في شغل ما قد امتحنا به من منازعة الظالم العتل الضال، المتتابع في غيه، المضاد لربه ،المدعي ما ليس له، الاحد حق من افترض الله طاعته، الظالم الغاصب[٣٦]. وفي ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ل أسوة حسنة، وسيرتدي الاهل رداءه[٣٧] وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار، عصمنا الله وإياكم من المهالك، والأسواء، والآفات، والعاهات كلها برحمته انه ول ذلك، والقادر على ما يشاء، وكان لنا ولكم ولياً وحافظاً، والسلام على جيع الأوصياء، والأولياء، والمؤمنين ورحمة الله وبركاته وصلى الله على النبي محمد وآله وسلم تسليما))[٣٨].

وصف التوقيع الحيرة بأنها فتنة افتتن بها بعض الناس المشككين المرتابين في دينهم وولاة أمرهم، وضرورة طاعتهم كما جاء في كتاب الله من سورة النساء، وكما جاءت به أحاديث

الأئمة المعصومين عليهم السلام وآثارهم من قبل. مشيراً الى ان الأرض لا تخلو من حجة أما ظاهراً أو مغموراً، منذ ان خلق الله آدم عليه السلام فلا انقطاع للحجج بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فكلما ذهب أحدهم جاء آخر مكانه ،لأنهم هم السبب بين الله تعالى وبين خلقه.

وأكّد عجل الله فرجه الشريف على أنّ أبيه الإمام الحسن العسكري عليه السلام قد أوصى به (وفينا وصيته) ،تلافياً لوقوع الفتنة في الخلق بعده، ومن ينازعه كافر مبطل خارج عن دين الله، وهذه هي نصيحة للمتحيرين للرجوع الى الحقيقة والسنة الواضحة الحقة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وآله واتبعه عليها بعده أهل بيته الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

وفي توقيع آخر جاء رداً على سؤال بعثه السفير الأول عثمان بن سعيد، وابنه محمد بن عثمان، حول مسألة الإمامة وما عليه الناس من حيرة بعد أن أخبرهما الميثمي[٣٩] عن مناظرات جرت بين رجل يقال له المختار[٤٠] مع بعض الشيعة. إذ كان ينكر أن يكون للإمام الحسن العسكري عليه السلام ولد، وكان يدعو إلى إمامة جعفر بن علي .

جاء في التوقيع: ((وفقكما الله لطاعته وثبتكما على دينه وأسعدكما بمرضاته انتهى إلينا ما ذكرتا أن الميثمي أخبكما عن المختار ومناظرته من لقي واحتجاجه بأن خلف غير جعفر بن علي وتصديق إياه وفهمت جيع ما كتبتما به ما قال اصحابكما عنه، وأنا أعوذ بالله من العمى بعد اللاء ومن الضلالة بعد الدى ومن موبقات الأعمال ومرديات الفتن فأنه عز وجل يقول: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[٤١] كيف يتساقطون في الفتنة ويترددون في الحيرة ويأخذون يميناً وشمالاً فارقوا دينهم أم ارتابوا أم عادوا الحق أم جهلوا ما جاءت به الروايات الصادقة والأخبار الصحيحة أو علموا ذلك فتناسوا أما تعلمون أن الأرض لا تخلو من حجة أما ظاهراً وإما مغموراً؟ أو ل يعلموا انتظام أئمتهم بعد نبيهم صلى الله عليه وآله واحداً بعد واحد إلى أن أفض الأمر بأمر الله عز وجل إلى الماضي -يعني الحسن بن علي صلوات الله عليه- فقام مقام آبائه عليهم السلام يدي إلى الحق والى طريق مستقيم

كان نوراً ساطعاً وقمراً زاهراً اختار الله عز وجل له ما عنده فمض على منهاج آبائه عليهم السلام حذو النعل بالنعل على عهدٍ وأخفى مكانه بمشيته للقضاء السابق والقدر النافذ وفينا موضعه ولنا فضله. ولو قد أذن الله عز وجل فيما قد منعه وأزال عنه ما قد جرى به من حكمه لأراهم الحق ظاهراً بأحسن حليه وأبين دلاله وأوضح علامةٍ، ولأبان عن نفسه وقام بحجته ولكن أقدار الله عز وجل لا تغالب وإرادته لا ترد وتوفيقه لا يسبق فليدعوا عنهم إتباع الوى وليقيموا على أصلهم الذي كانوا عليه ولا يبحثوا عمّا ستر عنهم فيأثموا ولا يكشفوا ستر الله عز وجل فيندموا وليعلموا أن الحق معنا وفينا ولا يقول ذلك سوانا إلا كذاب مفترٍ و لا يدعيه غيرنا إلا ضـــال غوى ، فليقتصروا منا هذه الملة دون التفسير ويقنعوا من ذلك بالتعريض دون التصريح إن شاء الله))[٤٢].

عند التمعن في مضمون هذا التوقيع نجد أنّه مشابه لمضمون التوقيع الأول. يدل على حدوث كلام كثير فيمن يكون الإمام المهدي المفترض الطاعة. وهو كما يبدو لم يصدر للسفير الأول عثمان بن سعيد وأبنه السفير الثاني محمد بن عثمان، كونهم يجهلون هذه المسألة وأنّهم وقعوا في حيرة كباقي الناس، إنما أرسل نتيجة إخبارهم للإمام عليه السلام عن المناظرات التي تحدث ليحصلا على إجابة تكون كدليل يؤكد وجوده لدى المتحيرين. وإلقاء للحجة على الناس كي تنتهي الحيرة التي شغلت بعضهم كثيراً. فضلاً عن ذلك فإن هذا التوقيع جاء تأكيداً للتوقيع الأول، وتحسباً لحدوث طعن وتشكيك في صدور الأول، وفيه إشارة للحكمة الإلهية للغيبة. ولولا ذلك لظهر الإمام بأبين دلالة وأوضح علامة .

ويبدو أن الحيرة أخذت حيزا كبيرا في واقع الحياة الفكرية والدينية وحتى السياسية رغم تنويه وتحذير النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة من خطورتها وحتمية حدوثها فقد قال الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ((... اما ان له غيبة يحار فيها الاهلون، ويلك فيها المبطلون، ويكذب فيها الوقاتون، ثم يرج فكاني انظر الى الاعلام البيض تخفق فوق راسه بنجف الكوفة))[٤٣]، في

هذه النص إشارة واضحة وتشخيص دقيق من الإمام العسكري عليه السلام حول واقع المجتمع الذي وقع في تلك الحيرة، فقد وصفهم بالجاهلين لكنهم جاهلون بماذا؟ أنهم يجهلوا حقيقة الإمامة وما جاء به النبي صلى الله عليه وآله من مبادئ الدين الحنيف وأصوله، فضلا عن جهلهم بالتحذير والتنويه في الأحاديث التي ذكرت الحيرة ولو كان هناك إدراك ووعي لما تقدم من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله والأئمة من بعده لما وقع البعض في الحيرة، كما بين الإمام الحسن العسكري عليه السلام أن نتيجة هذا الجهل والبطلان هو الهلاك.

الخاتمة

بناءً على ما تناوله البحث فقد توصل الى ما يلي:

١.أنّ الحيرة ذكرت من قبل النبي محمدصلى الله عليه وآله، والأئمة الأطهار عليهم السلام قبل وقوعها ،وهذا يدل على خطورتها في تشويه الفكر الإسلامي بين العامة، لذلك حذروا منها لتنبيه الناس عليها، وذلك من خلال قيامهم بالتمحيص والبحث والتمسك بالطريق القويم للإمامة .

٢.هناك أسباب عدّة تقف وراء وقوع الحيرة بين الناس تمثلت بوقوع الغيبة الصغرى للإمام المهدي عجل الله فرجه التي تعد شيئًا جديدا نوعا ما بالنسبة للأمة فحاول البعض استغلال ذلك .

٣.ظهور أدعياء الإمامة عن الإمام المعصوم، وأدعياء السفارة، ساهم في وقوع الحيرة بين الناس، ولا سيما إذا ما علمنا أنّ بعض هؤلاء كان من المقربين للأئمة المعصومين عليهم السلام.

٤.وقعت الحيرة في بداية الغيبة الصغرى أي في عهد السفير الأول للإمام المهدي عجل الله فرجه عثمان بن سعيد العمري .

٥.واجه الإمام المهدي الحيرة من خلال ارساله تواقيع إلى سفيره الأول عثمان بن سعيد العمري لإيضاح الحقيقة للناس، بعد وصف التوقيع للحيرة بأنّها فتنة افتتن بها بعض الناس المشككين المرتابين في دينهم وولاة أمرهم.

٦.كان للسفير الأول دور كبير في انجلاء الحيرة أو تقليل حدّتها بين الناس من خلال تحركه الفكري ومحاجاته، ونقله لتواقيع الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الهوامش

١.فارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، نزيل العسكر، أدرك الإمام الرضا عليه السلام والإمام الهادي عليه السلام، والإمام الحسن العسكري عليه السلام، قل ما روى الحديث إلا شاذاً، له مؤلفات عدة منها كتاب الرد على الواقفة وكتاب الحروب، وكتاب التفصيل، وكتاب عدد الأئمة عليهم السلام من حساب الجمل وغيرها. إدعى الوكالة عن الإمام الهادي عليه السلام. قتل على يد جنيد أحد أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام لكن لم تذكر سنة قتله. النجاشي، رجال النجاشي، ص٣١٠؛ الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٨-٨٠٦؛ رجال الطوسي، ص٣٩٠؛ الحلي ،خلاصة الأقوال، ص٤٨١؛ ابن داود، رجال ابن داود،ص١٥٠ .

٢.علي بن عمرو القزيوين، عدّه الشيخ الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام من خصاله انه حاجب الإمام الحسن العسكري عليه السلام، خرج على يده توقيع في لعن فارس بن حاتم روى النص عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام وروى عنه الكليني في كتابه الكافي. راجع، الكليني، الكافي، ج١، ص٣٢٦؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص٨٨٣.

٣.الطوسي، الغيبة، ص٣٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٠، ص٢٢٢.

٤.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٨٦١ .

٥.العبيدي، هو محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين العبيدي، يكنى بأبي جعفر جليل، ثقة ،كثير الرواية، روى عن الإمام الجواد عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام، والإمام العسكري عليه السلام، له مؤلفات عدة في الإمامة، وأبواب الفقه منها كتاب الأمل والرجاء وغيره. راجع، الكشي ،رجال الكشي، ص٥٣٧؛ النجاشي، رجال النجاشي، ص٣٣٣؛ الحلي، خلاصة الأقوال ،ص٢٤١؛ ابن داود، رجال ابن داود، ص٢٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٤، ص٢٠٩؛ الاردبيلي، جامع الرواة، ج٢، ص٦٦١ .

٦.الفهري، هو محمد بن نصير النميري، الفهري، احد الخارجين عن الأئمة المعصومين من المتأخرين، وادعى السفارة عن الإمام المهدي عليه السلام. توفي سنة ٢٧٠هـ. الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٥؛ الغيبة، ص٨٩٣.

٧.الطوسي، اختيار معرفة الرجال، ج٢، ص٨٠٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص٨١٣.

٨.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٤٩٠ .

٩.الشبوط، إبراهيم، المهدية في عصر الغيبة، ط١ مؤسسة الأعلمي، بيروت ٧٢٤١هـ، ص٠٨١ .

١٠.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٤٩٠ .

١١.الشبوط، المهدية، ص١٨٠ .

١٢.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٩٨٤.

١٣.ابن بابويه، الامامة والتبصرة من الحيرة، ص١٢٠ .

١٤.المصدر نفسه.

١٥.الصدوق، كمال الدين، ص ٣٠٤؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٥١، ص١١٠.
١٦.النعماني، الغيبة، ص١٩١ .
١٧.كمال الدين .٤٠٨،
١٨.المصدر نفسه.
١٩.احمد بن الدينور: هو احمد بن محمد الدينوري، كنتيه أبو العباس السراج، لقبه أستاره أو أتسونه، أدرك زمان الإمام الحسن عليه السلام كان ثقة، كرياً عند الشيعة، عده الطوسي، ممن لم يرووا عن واحد من الأئمة عليهم السلام. لم تذكر المصادر التاريخية ولادته ووفاته. راجع، النجاشي ،رجال النجاشي، ص٥٩؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص٤٠٧؛ الأردبيلي، جامع الرواة، ج١ ،ص٦٥؛ البروجردي، طرائق المقال، ص٢٢٥؛ الشاهرودي، مستدركات، ج١، ص٦٣٤ .
٢٠.الطبري، دلائل الإمامة، ص٥٢٠؛ البحراني، مدينة المعاجز، ج٨، ص٩٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٥، ص٣٠٠.
٢١.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٥٩٤.
٢٢.المصدر نفسه.
٢٣.المصدر نفسه .
٢٤.الصدوق، كمال الدين، ص١٣٤.
٢٥.الصدر، موسوعة الإمام المهدي، ج١، ص٥٩٤.
٢٦.الموسوي، ياسين، الحيرة في عصر الغيبة الصغرى، ط٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت ٢٠٠٨م،ص٢٨-٢٩ .
٢٧.سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، الحياة السياسية لأئمة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، د.م، د.ت، ص٢٥٢.
٢٨.البحراني، مدينة المعاجز، ج٧، ص٧٢٥.
٢٩.سلسلة العلوم، الحياة السياسية، ص٢٥٢ .
٣٠.الطوسي، الغيبة، ص٢٩٠؛ الراوندي، الخرائج والجرائح، ج٣، ص١١١٣ .
٣١.الأصبغ بن نباته، بن الحارث بن عمرو بن فاتك بن عامر بن مجاشع بن دارم من بني تميم ،وهو من خواص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وكثير الحب له، وكان كثير الرواية في الفقه والتفسير، ولاه الإمام علي عليه السلام على مصر، وشهد معه حرب الجمل، وصفين، وهو من جملة شرطة الخميس، لم تذكر المصادر سنة ولادته وذكر ابن حجر انه كان من الثالثة أي انه مات بعد سنة ١٠٠هـ/ ٧١٨م. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٦، ص٢٢٥؛ النجاشي ،رجال النجاشي، ص٨؛ الطوسي، الفهرست، ص٨٥؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٧٧؛ ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق، مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٩٩٥م، ج١ .

٣٢.الكليني، الكافي، ج١، ص٣٣٨؛ الصدوق، كمال الدين، ص٩٣١.
٣٣.راجع، بحار الأنوار، ج١٥، ص٩١١.
٣٤.ابن أبي غانم القزويني: هو محمد بن عبد الله بن أبي غانم القزويني، لم تذكره مصادر التاريخ والتراجم والطبقات، سوى برواية واحدة عن وقوع فرج الإمام المهدي عليه السلام رواها عنه ابن بابوية القمي في كتابه الإمامة والتبصرة، ومن بعده الشيخ الصدوق، في كتابه كمال الدين وتمام النعمة.راجع، القمي، الإمامة والتبصرة، ص١٣١؛ الصدوق، كمال الدين، ص٣٨١؛ الشاهرودي، مستدركات، ج٧، ص٤٦١.
٣٥.النساء، الآية.٥٩
٣٦.يقصد به جعفر الكذاب، ويحتمل خليفة ذلك الزمان، وهو المعتمد العباسي. المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٨٠.
٣٧.رداءة: يقال أردأه: أفسدته وأهلكه. الطوسي، الغيبة، ص٢٨٦؛ الزبيدي، تاج العروس ،ج١، ص١٦١.
٣٨.الطوسي، الغيبة، ص٢٨٧-٢٨٥؛ الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص٢٧٩-٢٧٨؛ المجلسي ،بحار الأنوار، ج١٥، ص١٧٨-١٨٠ .
٣٩.الميثمي، لعله محمد بن الحسن بن زياد الميثمي، الذي قالوا عنه ثقة، ومن أصحاب الرضا عليه السلام، أو احمد بن الحسن الميثمي، الذي قال الطوسي عنه: انه كان واقفاً، وقد روى عن الإمام الرضا عليه السلام وهو على حال ثقة صحيح الحديث معتمد عليه، ولعله علي بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار من وجوه المتكلمين الشيعة، النجاشي، رجال النجاشي، ص٢٥١، ٣٦٣؛ الطوسي، رجال الطوسي، ص٣٣٢؛ الحلي، خلاصة الأقوال، ص٢٦٣؛ الاردبيلي، جامع الرواة، ج٢، ص٩٢؛ الشيرازي، كلمة الإمام المهدي، ص٥٤٢ .
٤٠.لم نجد له ترجمة تذكر في مصادر التاريخ والتراجم والطبقات.
٤١.العنكبوت، الآية.٢
٤٢.الصدوق، كمال الدين،ص٥١١-٥١٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٥، ص١٩٠-١٩١.
٤٣.المصدر نفسه.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١.الاردبيلي، محمد بن علي الغروي (ت١٠١١هـ) جامع الرواة وإزاحة الاجتباهات عن الطرق والإسناد، مكتبة المحمدي، د.م، د.ت.
٢.البحراني، هاشم بن سليمان (ت١١٠٧هـ) مدينة المعاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، تحقيق عز الله المولائي ،ط١، مؤسسة المعارف، قم ، ١٤١٣هـ.
٣. ابن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥م .
٤.ابن داود الحلي، تقي الدين الحسن بن علي (ت٧٠٧هـ) رجال ابن داود، تحقيق محمد صادق بحر العلوم، المطبعة الحيدرية ،النجف، ١٩٧٢م .
٥.ابن سعد، محمد (ت٠٣٢هـ) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د- ت .
٦.الحلي، الحسن بن يوسف بن علي المطهر (ت٦٢٧هـ) خلاصة الأقوال في علم الرجال، المطبعة الحيدرلية، النجف ١٨٣١هـ.
٧.الراوندي، قطب الدين (ت٣٧٥هـ) الخرائج والجرائح، تحقيق مؤسسة الإمام المهدي، ط١، مؤسسة الإمام المهدي ،قم، ١٤٠٩هـ .
٨.الزبيدي، محب الدين أبي فيص (ت٥٠٢١هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق، علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ ١٩٩٤ -م.
٩.الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (ت١٨٣هـ) كمال الدين وتمام النعمة، تحقيق علي أكبر الغفاري ،مؤسسة النشر الإسلامي، قم ١٤٠٥هـ.
١٠. الصفدي، صلاح الدين خليل بيك (ت٤٦٧هـ) الوافي بالوفيات، تحقيق احمد الارناؤوط تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م .
١١.الطبرسي، أبي منصور احمد بن علي (ت٨٤٥هـ) الأحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، دار النعمان، النجف الأشرف ١٩٦٦م.
١٢.الطبري،محمد بن جرير (ت ق٤ هـ دلائل) الإمامة، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، ط١، مؤسسة البعثة، قم ،١٤١٣هـ .
١٣.الطوسي،أبي جعفر محمد بن الحسن(ت٤٦٠هـ) اختيار معرفة الرجال ،تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم .هـ١٤٠٤
١٤.الطوسي، رجال الطوسي، تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .هـ١٤١٥
١٥. الطوسي، الغيبة، تحقيق عباد الله الطهراني، علي احمد ناصح، ط١، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم .هـ١٤١١
١٦.الطوسي، الفهرست، تحقيق جواد القيومي، ط١، مؤسسة نشر الفقاهة ،د- م، د- ت .
١٧. القمي، علي بن بابويه (ت٩٢٣هـ) الإمامة والتبصرة من الحيرة، تحقيق مدرسة الإمام المهدي، ط١، مدرسة الإمام المهدي، قم .هـ١٤٠٤
١٨. الكشأب و عمرو محمد بن عمر (ت ق ٤هـ) رجال الكش، تحقيق حسن المصطفوي جامعة مشهد، مشهد .١٣٤٨

١٩. الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت٨٢٣-٩٢٣هـ) الأصول من الكافي، تحقيق، علي أكبر غفاري، ط٥ ،دار الكتب الإسلامية، طهران.هـ١٣٦٣

٢٠.النجاشي، أبو العباس احمد (ت٤٥٠هـ) رجال النجاشي، تحقيق موسى الشيري الزنجاني، ط٥، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .هـ١٤١٦

٢١.النعماني، محمد بت إبراهيم (ت٣٨هـ) الغيبة، تحقيق فارس حسون كريم، ط١ ،أنوار الهدى، قم .هـ١٤٢٢

٢٢.المجلسي ، محمد باقر (ت١١١١هـ) بحار الأن وار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣.

٢٣.سلسلة المعارف الإسلامية، الحياة السياسية لائمة أهل البيت عليهم السلام، مؤسسة المعارف الإسلامية، د-م، د-ت .

٢٤.الشاهرودي، علي النماري (ت١٤٠٥هـ) مستدركات علم رجال الحديث، ط١ ،مطبعة شفق، طهران .هـ١٤١٢

٢٥.الشبوط، إبراهيم، المهدية في عصر الغيبة، ط١، مؤسسة الأعلمي، بيروت ٧٢٤١هـ.

٢٦.الشيرازي، حسن، كلمة الإمام المهدي ،ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٣م .

٢٧.الصدر، محمد صادق، موسوعة الإمام المهدي عجل الله فرجه (تاريخ الغيبة الصغرى) ،ط٢، مطبعة الغدير، د- م .هـ١٤٢٥ ،

٢٨. الموسوي، ياسين، الحيرة في عصر الغيبة الصغرى، ط٢، مؤسسة الأعلمي ،بيروت ٢٠٠٨م.

مستقبل الأديان السماوية في عصر الظهور
دراسة قرآنية

م.د. نور مهدي كاظم الساعدي

كلية الشيخ الطوسي الجامعة
قسم علوم القرءان الكريم

ملخص البحث

البحث عن مستقبل الأديان حاجة ملحة تدفع اتباع تلك الاديان لمعرفة مصيرهم ومصير اديانهم، ولذلك ظهرت نظرية صراع الاديان او الحضارات التي تبحث ان المستقبل سيكون للدين الاقوى بعد ان يخوض صراعا وصداما مع الحضارات والاديان الاخرى، وذهب اخرون الى تبني نظرية حوار الحضارات والاديان كبديل عن الصراع، وزاد الاخرون على الحوار بين الاديان تعارفها وهي مرحلة اكثر تقدما وتطورا من الحوار، اضافة الى بحث موضوع نهاية العالم فيما اذا كانت نهاية مأساوية كما تصورها معركة (هرمجدون) او نهاية سعيدة تملأ الارض خيرا وعدلا على يد المهدي المنتظر كما تقدمها النصوص الواردة عن اهل البيت عليهم السلام، وكل ذلك لأجل تشخيص ملامح المستقبل لكل دين من الاديان الكبرى لاسيما التوحيدية منها وهي اليهودية والمسيحية والاسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعرض النص القرآني ان الاديان السماوية التي سبقت الاسلام قد تعرضت للتحريف والتعطيل والتضييع، ولم يقتصر الامر على اليهودية والمسيحية فقط، بل شمل الاسلام كذلك حتى عاد غريبا كما بدألما اصابه من تشويه وتعطيل وتحريف وتضييع لاحكامه التي انزلها الله سبحانه، وبات الانسان يسفك دم اخيه الانسان باسم الدين، مما يعني ان الشرائع السماوية لم تحقق مهامها في الارض بشكل تام، واندرست معالمها لما تعرضت له، كل ذلك يستدعي بحث مستقبل تلك الاديان السماوية التي جاءت لانتشال البشرية من براثن الشرك الى معين التوحيد، وإذا كانت تلك الاديان ومنها الاسلام لم تظهر بشكلها التام كما انزلها الله سبحانه على يد الانبياء والرسول الخاتم ،فمن المظهر لها وقد وعد الله سبحانه بتمكين المؤمنين واستخلافهم في الارض؟

ABSTRACT

The present research tackles the future of religions, that is why they delve into sources to know their fate, as such the conflict theory heaves into view, others take hold of such a theory to avert holding conflicts, yet some others revert into the heart of interfaith debate. Itis of necessity to fathom such a locus to know truth and reality of the religions, as they never appear as they really are as Allah decrees; Islam is one of these acted on the hand of the prophets and the sealed messenger; Allah promises to enable the believer and to be ensconced in the earth.

المقدمة

البحث عن مستقبل الاديان حاجة ملحة تدفع اتباع تلك الاديان لمعرفة مصيرهم ومصير اديانهم، ولذلك ظهرت نظرية صراع الاديان او الحضارات؛ لأن «الديانة خاصية اساسية في التعريف بالحضارات»[1]، والتي تبحث ان المستقبل سيكون للدين الاقوى بعد ان يخوض صراعا وصداما مع الحضارات والاديان الاخرى، وذهب اخرون الى تبني نظرية حوار الحضارات والاديان كبديل عن الصراع، وزاد الاخرون على الحوار بين الاديان تعارفها وهي مرحلة اكثر تقدما وتطورا من الحوار، وكل ذلك لأجل تشخيص ملامح المستقبل لكل دين من الاديان الكبرى لاسيما التوحيدية منها وهي اليهودية والمسيحية والاسلام هذا من جهة، ومن جهة أخرى يعرض النص القرآنيان الاديان السماوية التي سبقت الإسلام قد تعرضت:

- للتحريف؛ لقوله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾: [النساء٤٦].
- للتعطيل؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾:[البقرة٨٥] .
- للتضييع؛ لقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾:[مريم٥٩].

ولم يقتصر الامر على اليهودية والمسيحية فحسب، بل شمل الاسلام كذلك حتى عاد غريبا كما بدأ[2] لما اصابه من تشويه وتعطيل وتحريف وتضييع لاحكامه التي انزلها الله سبحانه، وبات الانسان يسفك دم اخيه الانسان باسم الدين، مما يعني ان الشرائع السماوية لم تحقق مهامها في الارض بشكل تام، واندرست معالمها لما تعرضت له، كل ذلك يستدعي بحث مستقبل تلك الاديان السماوية التي جاءت لانتشال البشرية من براثن الشرك الى معين التوحيد، فضلاً عن ان اندراسها لابد له من محيي ومظهر، وإذا كانت تلك الاديان ومنها الاسلام لم تظهر بشكلها التام كما انزلها الله سبحانه على يد الانبياء والرسول الخاتم، فمن المظهر لها وقد وعد الله سبحانه بتمكين المؤمنين واستخلافهم في الارض؟ من هنا تمحور البحث على وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول

ظهور الاسلام على الاديان

مستقبل الاديان عموما والسماوية على وجه الخصوص مرتبط بمفهوم ظهور الاسلام على غيره من الاديان، والذي اشار له قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[التوبة: ٣٣؛ الصف: ٩]، وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[الفتح: ٨٢]، إذ ان الايات الكريمة تشير الى ما يتعلق بظهور الاسلام على بقية الاديان، حتى عدّها المفسرون وعدا إلهيا لابد من تحققه، وفي ظل ظهور الاسلام على بقية الاديان لن يبقى لها وجود، «فلو استمرت الاديان في مو ازاة الاسلام على احقيتها لم يكن هناك مجال لكي يظهر الله دينا ما من الاديان الحق»[٣]، ومن ثمَّ فإن اتباع غير الاسلام باطل لايمكن قبوله ولا نجاة له في الآخرة، مما يعني ان لامستقبل لبقاء ووجود اي دين اخر غير الاسلام، وهو أمر فيه نظر، إذ ان مسألة ظهور الدين على الدين كله تحتاج الى بحث دقيق في عموم النص القرآني، فلابد من الوقوف عند المراد بدين الحق، ومن ثم معنى الظهور وكيفيته، وبذلك تكون الرؤية اوضح فيما يخص علاقة ظهور الاسلام على بقية الاديان السماوية بوجود تلك الاديان وبقاءها، وذلك على النحو الآتي:

اولاً: دين الحق في النص القرآني

جاء لفظ الدين مضافا للحق في القرآن الكريم في أربعة موارد، ثلاثة منها تقدم ذكرها في صدر المطلب، والرابعة في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿قاتلُوا الَّذينَ لا يُؤْمنُونَ باللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلايُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدينُونَ دينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذينَ أُوتُوا الْكِتابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صاغِرُون﴾[التوبة:٢٩]، وانقسم المفسرون في المراد من «الدين الحق» على رأيين هما:

الاول: ان المراد به دين الاسلام، وأضيف الى الحق لأن غير دين الإسلام باطل، فلا يوجد دين آخر يماثله في كونه حقاً[٤]، فهو الثابت الناسخ لسائر الأديان و مبطلها[٥].

الثاني: هو الدين الذي أنزله اللّه على أنبيائه[٦]، وسمي بالحق لأنه يهدي اليه لما فيه من التسليم لإرادة الله التشريعية المنبعثة عن إرادته التكوينية[٧]، لقوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[الاحقاف:٣٠] ومن يدين به يجب ان يتحقق عنده التسليم النفسي والخضوع القلبي للشريعة الإلهية[٨]، وبذلك يكون المراد من دين الحق هو دين التوحيد عموما.

وما يدل على رجحان الرأي الثاني في بيان معنى «دين الحق» الامر الالهي في القرآن الكريم باتباع «ملة ابراهيم حنيفا» ومعنى الحنيف هو: «المائل عن كل دين باطل إلى دين الحق»[٩]، زيادة على ان كل شريعة من الله سبحانه هي شريعة حق لما فيها من هدى ونور، لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة:٤٤]وقوله: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ﴾[المائدة: ٦٤] وتحريف تلك الشرائع هي محاولة لإطفاء نور الله تعالى ويأبى سبحانه الا ان يتم نوره؛ لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[التوبة: ٢٣]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[الصف: ٨]، واتمام النور انما يكون بظهور

دين التوحيد الذي جاءت به تلك الشرائع؛ ولذلك اعقبت ايات اتمام النور بآيات ظهور الدين، مما يؤكد ان السياق القرآني ناظر الى كون دين الحق الذي وعد الله سبحانه بإظهاره واعلاء كلمته هو التوحيد بكل مصاديقه التي تم اخفاءها واضاعتها وتحريفها؛ لقوله تعالى في نهاية الاية «ولو كره المشركون»، والشرك يقابله التوحيد.

ثانياً: معنى ظهور الدين

يذكر صاحب العين أن الظهور في اللغة هو «بُدُوُّ الشَّيء الخفِيّ، والظَّفَرُ بالشَّيء، والاطِّلاع عليه، فظَهَرْنا على العدوَّ، والله أظهرنا عليه، أي: أَطْلَعَنا»[١٠]، والظهور من ظهر وهو «أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ وَبُرُوزٍ، مِنْ ذَلِكَ: ظَهَرَ الشَيءُ يَظْهَرُ ظُهُورًا فَهُوَ ظَاهِرٌ، إِذَا انْكَشَفَ وَبَرَزَ»[١١]، وظهر عليه غلبه[١٢].

وبذلك يكون المعنى اللغوي للظهور يدور بين البدو بعد الخفاء وبين القوة والغلبة بالظفر، مما يفهم منه ان ظهور «الدين على الدين كله» من جهة اللغة يعني انكشافه بعد خفاء واطلاعه على غيره من الاديان بما لديه من قوة للظفر بها وغلبتها.

أما معنى «ظهور الدين على الدين كله» لدى المفسرين من قدماء ومحدثين فهو اعلاء دين الاسلام على جميع الاديان بالحجة والحكم والغلبة والقهر لها، حتى لايبقى على وجه الارض دين الا غلبه وانتصر عليه، وفي الآية دلالة على عالمية الاسلام، ووعد بغلبته على سائر الملل والأديان[١٣]، ولكن هل معنى غلبة الاسلام على الاديان الاخرى يعني زوال تلك الاديان لاسيما التوحيدية منها؟

من خلال المعنى اللغوي وما ذهب إليه المفسرون في بيان المراد من ظهور الدين ،ان الظهور لايحمل معنى زوال الظاهر عليه؛ وهذا ما التفت اليه القرطبي في احكامه إذ قال: «لَيْسَ الْمُرَادُ بِالظُّهُورِ أَلَّا يَبْقَى دِينٌ آخَرُ مِنَ الْأَدْيَانِ، بَلِ الْمُرَادُ يَكُونُ أَهْلُ الْإِسْلَامِ عَالِينَ غَالِبِينَ»[١٤]، ثم يضيف ان الظهور إذا كان من الاظهار فهو يعني «أَلَّا يَبْقَى دِينٌ سِوَى الْإِسْلَامِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»[١٥]، ومسألة ظهور الاسلام في اخر الزمان تحتاج الى تفصيل سيأتي لاحقا، ولكن حتى لو كان المراد من قوله تعالى «ليظهره على الدين كله» الاظهار وليس الظهور، فهو ايضا لا يعني انعدام وجود الاديان الظاهر عليها؛ لأنه سيتضح من خلال التفصيل الآتي ان اهل الملل السماوية اما ان يسلموا واما ان يدفعوا الجزية، وفي حال دفعهم للجزية يعني بقاءهم على دينهم، مما يعني بقاء اديانهم .

ثالثا: كيفية ظهور دين الحق على الدين كله

تعددت آراء المفسرين في كيفية غلبة دين الحق وظهوره على بقية الاديان ويمكن اجمالها فيما يأتي:

١.الظهور بالإخبار والإطلاع

يقول البغوي ان الضمير المتصل في (ليظهره) يرجع إلى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، وعلى هذا الأساس تدل الآية على أن الله سبحانه أرسل النبي بالهداية ودين الحق؛ ليعلمه شرائع الدين كلها فيظهره عليها حتى لا يخفى عليه منها شي ء، وهو رأي نسبه البغوي لابن عباس[١٦]، مع ان العلامة الطباطبائي قد استبعد ان يكون الضمير راجع للرسول[١٧]، إلا انه وجه لايخلو من صحة؛ لأن الدين الحق -في ضوء ماتقدم- كي يظهر على الاديان كلها لابد له من مُظهِر، ولكي يتمكن المظهر من اظهار دين الحق لابد ان يكون مطلعا على الشرائع السماوية السابقة، كي تكون له الحجة في ذلك الاظهار من جهة، وله الاحقية في الاتباع من جهة اخرى.

٢.الظهور بالغلبة الفكرية والبهانية

يذكر ابو اسحاق الثعلبي ان ظهور الدين على الاديان كلها يكون بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة فتكون حجة هذا الدين أقوى[١٨]، الا ان الفخر الرازي يرفض هذه الكيفية في الغلبة؛ لأن صياغة الآيات تدل على أنه سبحانه يعِد ويبشر بأمر لم يتحقَّق ساعة نزولها، في حين أن غلبة الدين الإسلامي على سائر الأديان بالحجج الواضحة والبراهين القاطعة شيء قد حصل في بداية الأمر، فكل من الوعد والبشارة يخص أمراً لم يتحقق؛ بل إن تحققه سيكون في المستقبل[١٩].

اقول: ان الظهور امر تشكيكي[٢٠] ذا مراتب، بمعنى انه درجات كما للايمان درجات، فقد يكون الدين ظاهر على غيره من الاديان بالبراهين والحجج بدرجة ما في وقت نزول الآية او حتى بعد نزولها، ولكن بأعلى درجات الظهور لم يظهر بعد وهو ما سيكون في المستقبل، ولذلك لايمنع تحققه فيما سبق البشارة به فيما هو آت مستقبلا.

الغلبة بتسلط المسلمين على جميع اهل الاديان والملل

يبين الطبري في تفسيره ان ظهور الاسلام على بقية الاديان ان «يبطل الله به الملل كلها حتى لايكون دين سواه»[٢١]، ويوافقه الآلوسي بقوله: «ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده أي ما يدان به من الشرائع والملل فيشمل الحق والباطل، وإظهاره على الحق بنسخ بعض أحكامه المتبدلة بتبدل الاعصار، وعلى الباطل ببيان بطلانه ،وجوز غير واحد، ولعله الأظهر بحسب المقام، أن يكون إظهاره على الدين بتسليط المسلمين على جميع أهل الأديان»[٢٢]، ثم يوضح الالوسي كيفية تسلط المسلمين على غيرهم من الاديان وذلك بقتالهم ووعد الله سبحانه بفتح البلدان لهم وذلك بخروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام[٢٣].

وفي نقد هذه الكيفية من ظهور دين الحق سواء كان دين التوحيد عموما أم الاسلام خصوصا عدة امور منها:

١.الاسلام نهى عن الاكراه في الدين، وتسلط المسلمين على غيرهم من اهل الملل بشكل لا يبقى معه وجود لاهل ملة اخرى يعني اكراههم على الاعتقاد به ،وعندها لا تكون غلبة بالمعنى القرآني، وانما تسلط قهري وحاشا لله تعالى ان يظهر دينه بذلك، نعم يكون الدخول للاسلام من خلال الاقتناع بالحجج والبراهين بحيث لايبقى دين الا هو، عن قناعة ورضا لا عن قهر وتسلط.

٢.القتال في الاسلام لايكون الا على من اعتدى او بغى، (فلا تجوز مقاتلة العدو مالم يشهر سيفا ولم يبدأ بقتال)[٢٤]، وذلك ما صرح به النص القرآني في قوله

تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ * وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ * فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[البقرة: ١٩٠- ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا

﴿الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[التوبة: ٦٣]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلى أَمْرِ اللهِ فَإِنْ فاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]، والإطلاق في الآيات الكريمة يقتضي النّهي عن كلّ اعتداء صغيرا كان أو كبيرا، «سواء كان في الابتداء بالقتال أم في التجاوز في القتل أم في المكان، وسواء كان في النفس أم في المال أم في العرض أم في الأدب في الكلام أم في الفعل وغير ذلك»[٢٥]، وحتى المعتدي اذا جنح للسلم فلا قتال[٢٦]، لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَها وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[الانفال:١٦].

ومن ذلك يظهر ان قتال اهل الشرك والكفر ليس بعنوان شركهم او كفرهم ، بل بعنوان اعتدائهم وبغيهم –وهذه نقطة مهمة جدا لابد من بحثها في بحث مستقل ليس هنا مقامه– فإذا كان الاسلام لايرتضي ابتداء الاخر بقتال فكيف يفرض وجوده وسلطته بالقتال؟! ويخلص من ذلك ان القول بتسلط المسلمين على اهل الاديان الاخرى بالقتال لا صحة له لمخالفته النص القرآني. وبذلك يتضح ان لاظهار دين الحق على كل دين بعدين:

الاول: البعد المعرفي من خلال ظهوره بالحجج والبراهين وبالاطلاع على احكام الشرائع السماوية الاخرى وتفعيلها ورفع التعطيل عنها مالم تكن منسوخة في الاسلام.

الثاني: البعد الدفاعي العسكري الذي يحصن دين الحق من الاعتداء عليه او على الانسانية عموما.

وهذا الجمع بين الامرين هو الاكثر مناسبة لكيفية اظهار الاسلام على بقية الاديان، لما فيهما من هيمنة تتوافق مع معنى الهيمنة القرآنية على الكتب السماوية ،والتيتظهر بمجموعة من المظاهر تتلخص في كون القرآن الكريم مرتبط بالكتب السماوية من جهة: التصديق، والتفصيل، والحفظ والمراقبة والشهادة[٢٧]، وإقامة احكام الله سبحانه التي تضمنتها على اتباعها[٢٨]، إضافة لتصحيح العقائد المحرفة التي اضيفت لتلك الكتب، فإن هذه المظاهر

تؤدي الى استيعاب الآخر بجميع حيثياته العقدية والتشريعية وحتى الاخلاقية والثقافية، فتتفق وتقر ما يتوافق معها ،وتفصّل وتبيّن اجمالها وتصحح مسار مالا يتفق مع الحق، وبالتالي يكون الاسلام مشروع احياء شريعة الله في كل كتاب سماوي؛ لكونه «مشتملٌ على جميع الأحكام الشرعية الباقيةِ في الكتب الإلهية»[٢٩]، التي اميتت بسبب التحريف والتلبيس والاخفاء الذي شهدته تلك الكتب على يد بعض الرهبان والاحبار.

ولكن يبقى تساؤل: ان كانت هيمنة الاسلام امر ثابت وحاصل في عصر الرسالة فما وجه البشارة بحصوله مستقبلا؟

رابعا: اظهار الدين بتطبيق هيمنته

القرآن الكريم مهيمنا على ماسبقه من كتب سماوية ومن ثمَّ الاسلام مهيمنا على غيره من الشرائع السماوية، هو امر نظري لم يطبق على ارض الواقع بصورته التامة الى يومنا هذا، وتمام تطبيقها انما يكون بنفاذ قوانينه في الارض وحاكميتها على الجميع[٣٠]، فلا معنى ولا أثر لسيادة الاسلام بالكثرة الظاهرية والغلبة العسكرية وفرض سلطته بقوة السيف واحكامه معطلة او محرفة، وإذا فرضت سيادة الاسلام وغلبته على اهل الملل بالقوة والتسلط عليهم، فهو دليل على افتقار الاسلام للحجة؛ لأن الفكر القائم على اساس القمع هو فكر سقيم يعاني من نقص معرفي وقيمي ،وحاشا للاسلام ان يكون كذلك؛ لأنه الدين الكامل لقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾[المائدة: ٣]، زيادة على ذلك فعبارة «ليظهره على الدين كله» انما «تشير إلى ظهور الدين الحق على جميع الأديان من خلال معرفة الهدى، بمعنى أن الناس لهم دين لكنهم في ضلال وليس هو الدين الحق»[٣١]، ومعرفة الدين عن هدى لا يكون بالاكراه او بالسيف والقتال وماشاكل، وانما بالحجج والبراهين والاستدلال العقلي واعمال الفكر، ومحاججة الاخر بما يؤمن ويعتقد به. ولكن لابد لهذا الهدى من هادي ولتلك الهيمنة القرآنية من مطبق؛ ولذلك ذكر المفسرون ان ايات ظهور الدين انما يأتي تأويلها عند خروج المهدي ونزول عيسى عليه السلام[٣٢].

وبذلك يتضح ان ظهور دين الحق لايعني زوال بقية الاديان، ولكن يبقى السؤال عن مستقبل تلك الاديان في ظل ظهور الاسلام عليها، كيف سيكون وضع اتباعها وماهو مصيرهم؟ هذا ما سيأتي بحثه في المطلب الآتي.

المطلب الثاني

مستقبل الاديان السماوية في عصر اظهار الدين

بما ان اظهار الدين على الدين كله وظهوره لايكون الا في عصر خروج الامام المهدي عليه السلام والنبي عيسى عليه السلام بحسب ماذكره جل المفسرين، فإن الاخبار والروايات الواردة في بيان ملامح واحداث ذلك العصر تشير الى وجود مستقبل للاديان السماوية فيه، فقد اتفق المسلمون عموما على خروج المهدي في آخر الزمان وانه من عترة الرسول الاعظم، على الرغم من اختلافهم في كونه مولود ام سيولد فيما بعد، إلا ان هناك اتفاق مجمل على ماسيكون في عصر ظهوره من احداث[٣٣]، ويهم البحث منها مايتعلق بكيفية التعامل مع اتباع الشرائع السماوية، فيما اذا كان تعامل اقصاء والغاء، او اقرار وبقاء وكما يأتي:

أولاً: اظهار التوراة والانجيل كما انزلت

مشكلة تحريف الكتب السماوية السابقة تشكل عائقا امام قبول ان اتباعها على حق او لهم نصيب من النجاة في الاخرة، لما يبتني عليها من اعتقادات محرفة فيها من الغلو والفساد مالا يقبله عاقل، ولكن بمجرد ارتفاعها ستحل اشكالية قبول الاخر؛ لأنه عندها سيدين الجميع بالدين الحق الذي اراده الله سبحانه ان يدينوا به، ولذلك فإن الخطوة الاولى في اظهار دين التوحيد هو المجيئ بالانجيل والتوراة كما انزلت لتكون الى جنب القرآن الكريم في حكومة الانسانية. فقد نقلت كتب العامة والامامية «عدة اخبار انّ الكتب السماوية الأصلية في غار في انطاكية وانّه –المهدي عليه السلام– سوف يخرجها من هناك»[٣٤]، منها: ماروي عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام أنه قال: ((إذا قام القائم من اسار إلى أنطاكية[٣٥]، فيستخرج منها التوراة))[٣٦]، وجاء في حديث آخر قوله عليه السلام: ((إذا قام قائم آل محمد أو تي عصى موسى، وأخرج التوراة من أنطاكية))[٣٧]، وايضا قوله عليه السلام: ((ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية))[٣٨]، وهناك اخبار مماثلة عن استخراج التوراة والانجيل[٣٩].

وذكرت مصادر عدة ان العلة من استخراجها هي للاحتجاج بها[٤٠]، في حين ان مجرد الاحتجاج ليس داع لاستخراجها؛ لأن كل من اليهود والنصارى لا يعرفون تلك الكتب الاصيلة بل يعرفون ما بقي منها في كتبهم التي بين ايديهم، مما يعني ان الاحتجاج بها قد لايكون مجديا مع اهل الكتاب، ولذلك لابد من وجود اسباب اخرى لاستخراجها كي تكون حجة على اتباعها كي يصح الاحتجاج بها منها «هداية الناس بهذه الكتب بعد الظهور»[٤١]، ولهذه الهداية كيفية تثبت ما مرّ سابقا حول المراد من الهيمنة القرآنية على بقية الكتب السماوية.

ثانيا: الحكم بالتوراة والانجيل

بعد اظهار الكتب السماوية الاصيلة كما انزلت، ولتحقيق هداية اهل الكتاب الى الدين الحق كي يظهر على كل دين وملّة، لابد من تفعيل الاحكام التي جاءت بها تلك الكتب وهي التوراة والانجيل لما فيها من هدى ونور بصريح النص القرآني ،وهذا ماسيكون في زمن ظهور الدين وعلى يد المهدي المنتظر عليه السلام وهذا ما جاء في حديث الامام الباقر عليه السلام بقوله: ((اذا قام قائم أهل البيت قسّم بالسوية، وعدل في الرعية...ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن)).[٤٢]، والرواية اذا ضمت الى الايات القرآنية التي نصت على ضرورة الحكم بما انزل الله في كتبه منها قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[المائدة:٤٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[المائدة:٤٧-٤٨]، تعطي دليلا قاطعا مفاده: لإقامة الحكم العادل ينبغي أن تنزل كل الكتب السماوية إلى حيز التطبيق من قبل من يؤمن بها، فقد وصف من يعصي حكم التوراة بالكافرين تارة وبالظالمين أخرى، ومن يعصي حكم الإنجيل بالفاسقين، إلا ان الامر الأعلى في الحكم بتلك الكتب هو للحكم الإسلامي الذي أنزله الله تعالى في القرآن، إذ ان ما يقوم به المهدي المنتظر عليه السلام انما هو تطبيقاً لذلك التأكيد القرآني[٤٣]، وقد جاءت رواية مقاربة للرواية التي هي مدار البحث عن الامام امير المؤمنين عليه السلام في حال لو ثنيت له وسادة الحكم[٤٤]، مما يدل

على عدة امور منها:

الاول: ان الاسلام وان كان دينا جاء به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله إلا انه دين لاهل الكتاب ايضا؛ لأنه يطبق احكامهم عليهم من غير ظلم او جور، وهذا مايميزه عن بقية الاديان ولذلك فهو غالب لها ظاهر عليها .

الثاني: ان دين التوحيد عموما والاسلام على وجه الخصوص لابد له من مظهِر –وان كان ذلك لا يتحقق الا في آخر الزمان– بحيث يكون عالما ومطلعا اطلاعا دقيقا على كل ما انزله سبحانه في شرائعه السابقة، كي يتمكن من الحكم بما جاء فيها.

الثالث: ان الهداية لا تتحقق ودين الله لا يظهر على كل دين، إلا بتطبيق احكامه النازلة في كل كتاب انزله سبحانه وبيان ما هو ثابت منه او منسوخ وتفعيل تلك الاحكام واخراجها من حيز النظرية الى التطبيق، وهذه هي الهيمنة بعينها.

وإذا تحقق ذلك سيتحقق العدل والقسط على يد الاسلام، فلا ظلم ولا عدوان ولا جور على احد لا من المسلمين ولا من اهل الكتاب، وفي حال رؤية الاخر للعدل الالهي المقام في الارض من قبل حاكم الاسلام عندها سيدخل الاسلام طوعا من غير قتال ولا اكراه.

ثالثا: اقرار اهل الكتاب على دينهم

عند قراءة الاخبار فيما يخص معاملة الامام المهدي المنتظر عليه السلام لاهل الكتاب ،يتضح ان سيرته فيهم سيرة جده المصطفى صلى الله عليه وآله ففي حال عدم دخولهم الاسلام يبقون على دينهم وتؤخذ منهم الجزية وهذا ما ذكرته جملة من التفاسير منها: ما نسب لابن عباس قوله: «لَا تقوم السَّاعَة حَتَّى لَا يبْقى أحد إِلَّا دخل فِي الْإِسْلَام أَو أدّى إِلَيْهِم الْجِزْيَة»[٤٥]، ومثله نقله الفراء في معاني القرآن[٤٦]. ونقل القرطبي في تفسيره لآية اظهار الدين قول السدي وهو: «ذَاكَ عِنْدَ خُرُوجِ الْمَهَدِيِّ عليه السلام، لَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ فِي الْإِسْلَامِ أَوْ أَدَّى الْجِزْيَةَ»[٤٧].

أما الاخبار التي نقلت ان الامام المهدي لا يقبل الجزية وانه يحمل اهل الكتاب على الإسلام[٤٨]، وبعيدا عن مدى سلامة سندها، فهي لا يمكن قبولها من جهتين: الاولى: انها مخالفة لقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ وحمل اهل الكتاب على الاسلام يعني ارغامهم على ذلك وهو الاكراه بعينه.

الثاني: إذا كان اخذ الجزية من اهل الكتاب وقبولهم في ذمة الاسلام حكم شرعي ثابت، فتغييره اما نسخ له ومعلوم ان لا نسخ بعد الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله[٤٩]، واما تعطيل له وهو مما لا يتوافق مع مهام الامام المهدي عليه السلام في احياء معالم الدين والشريعة، واخذ الجزية واحدة من تلك الاحكام المعطلة في زمن الغيبة ولذلك ورد في الاخبار انه عليه السلام يضع الجزية، ومعنى وضع الجزية ليس رفعها بل تشريعها وتفعيل العمل بها[٥٠].

وهذا ما التفت اليه الطبرسي في إعلام الورى بقوله: «انا لم نعرف ما تضمنه السؤال من أنه لا يقبل الجزية من أهل الكتاب، فإن كان ورد بذلك خبر فهو غير مقطوع به»[٥١]، وهذه الضريبة المالية التي يدفعها اهل الكتاب بحسب الشروط المثبتة في المباحث الفقهية واهمها التراضي[٥٢]، تدل على امرين:

الاول: ان امتثال اتباع الاديان الاخرى لدفع الجزية من غير اكراه هو بحد ذاته غلبة وسيادة للاسلام على غيره من الاديان؛ لأنه امتثال لتشريع اسلامي.

الثاني: ان اهل الكتاب لهم دور في البنية الاقتصادية للاسلام كما للمسلمين من دور في دفع الزكاة والخمس، وبذلك ليس هناك الغاء لدور اتباع الاديان الاخرى في حال ظهور الاسلام على الدين كله.

الخاتمة

من خلال ما تقدم يظهر ان:

١.سيادة الاسلام وغلبته لا تعني انهاء وجود الاديان السماوية الاخرى، هذا ان حمل الاسلام على معناه الخاص، اما في حال حمله على المعنى العام وهو التوحيد والتسليم لله سبحانه فهذا يعني ان الاديان التوحيدية ستظهر على غيرها من الاديان الوضعية او السماوية التي فيها شائبة الشرك بفعل التحريف، وبذلك لا يتعارض مفهوم وكيفية اظهار الدين الحق على الدين كله مع موضوع التعدد الديني في عصر ظهور المهدي المنتظر عليه السلام.

٢.هيمنة الاسلام تتجلى من خلال بسط حكم الله في الارض والذي جاء في الشرائع السماوية مما يتفق مع حكم الاسلام من جهة، ويتمظهر فيه معنى الرقابة والشهادة والحفظ.

٣.بما ان ظهور الدين الحق على كل دين وعد الهي، إذن لابد له من مُظهِر وهو جزء من ذلك الوعد الالهي، فبدونه لا يمكن للدين ان يظهر بمعناه التام.

٤.استخراج المهدي المنتظر -بحسب ما تنقله الاحاديث- كتب الانبياء السماوية وميراثهم فيه دلالة على احياء ذلك الميراث وارجاعه لدائرة العمل والا مجرد الاحتجاج لا ينسجم مع عظم واهمية ذلك الميراث من جهة، ومعرفة الناس به عندئذ من جهة اخرى.

هذا ما استطاعت الباحثة ان تصل له بما يتعلق بمستقبل الاديان في عصر الظهور، ولعلها اصابت فيه او اخطأت، ومن الله التوفيق.

الهوامش

١.صدام الحضارات، هانتنغتون: ١١٤.

٢.ظ/ كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٢٠٠.

٣.القرآن والتعددية، محمد قراملكي: ٦٠.

٤.ظ/ تفسير مقاتل بن سليمان، مقاتل بن سليمان الازدي(ت١٥٠هـ): ٢/ ١٦٧؛ جامع البيان في تأويل القرآن، ابن جرير الطبري: ١٤/ ١٩٨؛ الكشاف جار الله الزمخشري: ١/ ٥٩١.

٥.ظ/ انوار التنزيل، البضاوي: / ٧٧٣.

٦.ظ/ تفسير المراغي، احمد بن مصطفى المراغي.٩١ :١٠ :

٧.ظ/ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: / ١٤٢٩.

٨.ظ/ من هدى القرآن، محمد تقي المدرسي: / ٤ ٥٥١.

٩.مدارك التنزيل، حافظ الدين النسفي: / ١ ٣٣١.

١٠.العين، الخليل بن احمد الفراهيدي: / ٤ ٧٣.

١١.معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: / ٣ ١٧٤.

١٢.ظ/ القاموس المحيط، الفيروز ابادي: / ١ ٤٣٤.

١٣.ظ/ جامع البيان، الطبري: ٤٥٣/ ٣؛ التبيان، الطوسي: ٢٠٩/ ٥؛ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٦١/ ٤٠؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ٨/ ٨؛ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٢٤٧/ ٩؛ وغيرها.

١٤.الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي: / ١٨ ٦٨.

١٥.م.ن

١٦.ظ/ معالم التنزيل في تفسير القرآن، حسين بن مسعود البغوي (ت.٣٤٠ / ٢ :)هـ٥١٠

١٧.ظ/ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: / ٩ ٧٤٢.

١٨.ظ/ الكشف والبيان عن تفسير القرآن، ابو اسحاق الثعلبي٥ :(هـ٧٢٤) / ٣٦.

١٩.ظ/ مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي: / ١٦ ٣٣.

٢٠.الأمر التشكيكي هو الكلي المتفاوتة أفراده في صدق مفهومه عليها كالبياض مثلاً فإنه مفهوم كلي ينطبق على بياض الثلج وبياض القرطاس، ولكن بياض الثلج أشد من بياض القرطاس
مع أن كليهما بياض، ويقابله الكلي المتواطئ فإنه المتوافقة أفراده فيه كالإنسان بالنسبة إلى أفراده فإنهم متساوون في الإنسانية. (ظ/ المنطق، محمد رضا المظفر): ٧١

٢١.جامع البيان في تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري:١٢/ ٣٢٠.

٢٢.روح المعاني، الالوسي: / ١٣ ٥٧٢.
٢٣.م.ن.
٢٤.الامثل، مكارم الشيرازي: / ٢ ٩١.
٢٥.ظ/ مواهب الرحمن، عبد الاعلى السبزواري: ٣/ ١٣٠.
٢٦.ظ/ الاء الرحمن، محمد جواد البلاغي: ١/ ١٦٦.
٢٧.ظ/ الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ابو زيد الثعالبي: ٢/ ٠٩٣.
٢٨.ظ/ الجامع لأحكام القرآن، شمس الدين القرطبي: / ٦ ٩٧١.
٢٩.ارشاد العقل السليم الى مزايا الكتاب الكريم، ابو السعود العمادي: ٣/ ٥٤.
٣٠.ظ/ من سيظهر دين الله، مرتضى اليرازي: ١١.
٣١.طور الاستخلاف، عالم سبيط.١٠٦ :
٣٢.ظ/ جامع البيان، الطبري: ٤٥٣/ ٣؛ التبيان، الطوسي: ٢٠٩/ ٥؛ مفاتيح الغيب، الفخر الرازي: ٦١/ ٤٠؛ الجامع لاحكام القرآن، القرطبي: ٨/ ٨؛ الميزان، محمد حسين الطباطبائي: ٩/ ٢٤٧؛ وغيرها.
٣٣. ظ / المهدي في الفكر الاسلامي، ثامر العميدي: ٣٨-٢٥
٣٤.النجم الثاقب، ميرزا حسين النوري الطبرسي: .٢٥٩ / ١
٣٥.انطاكية: من الثغور الشامية بينها وبين حلب يوم وليلة (معجم البلدان، ياقوت الحموي: ١.)٣٨٢/
٣٦.شرح الاخبار، القاضي النعمان المغربي (ت.٣٨٧/ ٣ :)ه٣٦٣
٣٧.م-ن: / ٢٠٨٣.
٣٨.الغيبة، ابن ابي زينب النعماني (ت٣٨٠هـ.٢٤٣ :)
٣٩.ظ/ الفتن، نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨هـ.٢٢٠ :)
٤٠.ظ/ معجم احاديث الامام المهدي، علي الكوراني: / ٢ ٥٢٥.
٤١.تاريخ مابعد الظهور، نحند صادق الصدر.٦٠٦ :
٤٢.الغيبة، ابن ابي زينب النعماني.٢٤٣ :
٤٣.ظ/ تاريخ ما بعد الظهور، محمد صادق الصدر.٦٠٧ :
٤٤.تنزيه الأنبياء، الشريف المرتضى١٩٤ :؛ الأمالي، الطوسي٥٢٣/ ٢:؛ شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد.١٩٧/ ١٢:
٤٥.تنوير المقباس، ينسب لابن عباس، جمعه مجد الدين الفيروزابادي (ت.٤٧٠ :)ه٨١٧
٤٦.ظ/ معاني القرآن، ابو زكريا يحيى الفراء (ت.٦٨ / ٣ :)ه٢٠٧
٤٧.جامع الاحكام، القرطبي: / ٨ ١٢١.

٤٨.ظ/ بحار الانوار، المجلسي: / ٥٢ ٣٨٣.
٤٩.ظ/ إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي:٢ / ٣١٠.
٥٠.ظ/ تاريخ مابعد الظهور، محمد صادق الصدر: .٨٧٦
٥١.إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي: ٢/ ٣١٠.
٥٢.ظ/ الجزية واحكامها، علي اكبر الكلانتري.٢٤ :

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١.ابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتب العربية، ط١ ،١٩٥٩.
٢.ابن فارس (ت ٥٩٣هـ)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،١٤٠٤هـ، مكتبة الإعلام الإسلامي.
٣.ابو اسحاق الثعلبي(٧٢٤هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء ال تراث العربي، ب يروت، لبنان ،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.
٤.أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٢٨٩هـ)، ارش اد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم، الناشر:
دار إحياءالتراث العربي، بيروت.
٥.ابو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٨٣٥هـ)، الكشاف، دار دجلة، الاردن ،الطبعة الاولى.٢٠٠٧
٦.احمد بن خليل الفراهيدي (ت ،هـ١٧٥)العين، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، مؤسسة الاعلمي، بيروت ،الطبعة الاولى ١٩٨٨م.
٧.احمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الاولى.١٩٤٦
٨.ثامر العميدي، المهدي في الفكر الاسلامي، مؤسسة الرسالة، قم المقدسة، الطبعة الاولى.هـ١٤١٧ ،
٩. حافظ الدين النسفي (ت٧١٠هـ)، مدارك التنزيل، تحقيق يوسف علي بديوي ،الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
١٠.حسين بن مسعود البغوي (ت هـ٥١٠) ،معالم التنزيل في تفسير القرآن ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى.هـ١٤١٦ ،
١١.حمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م.
١٢.شهاب الدين محمود الآلوسي(ت١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق علي عبدالباري عطية، دارالكتب العلمية ،بيروت، الطبعة الأولى.هـ١٤١٥ ،
١٣. شهاب الدين ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، معجم البلدان، دار صادر ،بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
١٤. عالم سبيط، طور الاستخلاف، مركز النيلي للدراسات، ط١.هـ١٤٢٤ ،
١٥. عبد الاعلى الموسوي السب زواري ،مواهب الرحمن، الناشر: موسسة أهل البيت، بيروت، ط٢.هـ١٤٠٩ ،
١٦.عبد الرحمن بن محمد ابو زيد الثعالبي(ت ٥٧٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة:

الأولى.هـ١٤١٨ ،
١٧.عبد الله بن عباس (ت٨٦هـ) تنوير المقباس، جمعه مجد الدين الفيروز ابادي (ت ٧١٨هـ) دار الكتب العلمية، لبنان.
١٨.علي اكبر الكلانتري، الجزية واحكامها ،مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة ،الطبعة الاولى.هـ١٤٢٦
١٩.علي الكوراني، معجم احاديث الامام المهدي، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم ،الطبعة الاولى .هـ١٤١١
٢٠.علي بن الحسين الشريف المرتضى(ت٦٣٤هـ) تنزيه الأنبياء، انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، ط١.
٢١.فخر الدين الرازي٦٠٦هـ، مفاتيح الغيب دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
٢٢.الفضل بن الحسن الطبرسي (ت هـ٥٤٨) إعلام الورى بأعلام الهدى، تحقيق ونشر مؤسسة ال البيت لتحقيق التراث، قم.
٢٣.محمد باقر المجلسي (ت١١١١هـ)، بحار الانوار، تحقيق: يحيى العابدي الزنجاني ،عبد الرحيم الرباني ال ش يرازي، ط٢ ،١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت .
٢٤.محمد بن ابن إبراهيم المعروف بـ (ابن أبي زينب النعماني) (ت٣٨٠هـ)، الغيبة ،منشورات أنوار الهدى، قم المقدسة ،الطبعة الاولى.هـ١٤٢٢
٢٥.محمد بن احم د شمس الدين القرطبي(ت١٧٦هـ)، الجامع لاحكام القرآن ،تحقيق أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش ،الناشر: دار الكتب المصرية، القاهرة ،الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
٢٦.محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، الناشر دار الثقافة، قم المقدسة، الطبعة الاولى.
٢٧.محمد بن الحسن الطوسي (ت٠٦٤هـ) ،التبيان في تفسير القرآن، تحقيق: أحم دقصير العاملي، الناشر: دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الاولى.
٢٨.محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: ٧١٨هـ) القاموس المحيط، تحقيق مكتب تحقيقا ل تراث في مؤسسة الرسالة ،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ،الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م.
٢٩.محمد تقي المدرسي، من هدى القرآن، دار محبي الحسين ، طهران، ط١ .هـ١٤١٩ ،
٣٠. محمد ج واد البلاغي، الاء الرحمن في تفسير ال ق رآن ، مؤسسة البعثة، ط١ ،١٤٢٠هـ، قم، تحقيق : قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة.
٣١. محمد حسين الطباطبائي (ت ١٤١٢ هـ)، الميزان في تفسير القرآن، دارالكتب الاسلامية، طهران ١٣٦١ هـ.
٣٢.محمد حسين قراملكي، القرآن والتعددية ،دار الولاء، بيروت، ط١ ،٢٠١٤.
٣٣.محمد رضا المظفر، المنطق، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة.
٣٤.محمد صادق الصدر، تاريخ ما بعد الظهور،

دار التعارف للمطبوعات ،بيروت، الطبعة الاولى،١٩٩٢.
٣٥. مقاتل بن سليمان الازدي (ت١٥٠هـ) تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق عبد الله محمود شحاته، دار إحياء ال تراث ،بيروت.
٣٦.مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل ، منشورات مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قم، ط١.هـ١٤٢١ ،
٣٧.ميرزا حسين النوري الطبرسي(ت١٣٢٠هـ) النجم الثاقب، تحقيق وتعليق السيد ياسين الموسوي، انوار الهدى، قم المقدسة، ط١.هـ١٤١٥ ،
٣٨. ناصر الدين البيضاوي (ت ،هـ٦٨٥)انوار التنزيل واسرار التأويل: دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الاولى.
٣٩.نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٨٨هـ) ،الفتن، تحقيق د.سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط١ ،١٩٩٣.
٤٠. هانتنغتون، صدام الحضارات واعادة بناء النظام العالمي، ترجمة مالك عبيد ومحمود محمد، الدار الجماهيرية للنشر، ط ١، ١٩٩٩
٤١. يحيى بن زياد ابو زكريا الفراء (ت هـ٢٠٧) معاني القرآن، تحقيق أحمد يوسف النجاتي، محمدعلي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، الطبعة الأولى.